وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة سعيدة – الدكتور مولاي الطاهر

كلية الآداب واللغات والفنون

التخصص: لسانيات الخطاب

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر موسومة بـــ:

البعد الحجاجي في كتب التفاسير

(البيضاوي أنموذجا)

إعداد الطالبة:

عماري أسماء

إشراف الأستاذ الدكتور:

العربي دين

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	المؤسسة	الصفة
د. عبدالقادر عبو	أستاذ التّعليم العالي	د. الطاهر مولاي–جامعة سعيدة	رئيسا
د. دين العربي	أستاذ التّعليم العالي	د. الطاهر مولاي–جامعة سعيدة	مشرفا ومقررا
د. تامي مجاهد	أستاذ التّعليم العالي	د. الطاهر مولاي–جامعة سعيدة	عضوا ممتحنا

الموسم الجامعي: 2022/2021

شكر وعرفان

مصداقاً لقوله صل الله عليه وسلم "من لم يشكر النَّاس لم يشكر الله"

أتقدَّم بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور المشرف:

" العربي دين"

على ما بذله من جهد وإخلاص بتوجيهاته الثمينة التي أفضت إلى اكتمال هذا البحث جزاه اللُّه عني كلّ خير.

كلّ الشكر والاحترام إلى أعضاء اللُّجنة العلمية الموقرة على إشرافهم لمناقشة هذا البحث المتواضع.

إهداء

إلى الذين قال فيهما الله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء، 24.

إلى من ضحى لأنال النجاح وعلمني روح الكفاح (أبي الغالي).

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي (أمي الغالية)

إلى من كانوا وما يزالوا السند والضلع الثابت. إخوتي: طاهر، مُحَمَّد، وليد، وعبدالكريم.

إلى من كانوا ملجأي وملاذي أخواتي: سمية، ووداد.

إلى الكتاكيت الصغار: أنس، أسامة، وأمينة.

فشكرا لكل من ساندني في دربي

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في الأبعاد الحجاجية في كتب التفاسير، حيث كان البيضاوي أنموذجا، فقد كان له جهودا لا يستهان بها في إثبات آليات حجاجية ووسائل إقناعية لإثبات اتجاهه، وقد أدت النظرية الحجاجية عن نجاعة كبيرة في مقاربة مختلف الخطابات و الخطاب التفسيري بصفة أخص نظرا للثراء الحجاجي الذي يمتاز به وأبعاده التداولية التى أدت إلى إقناع الآخر.

و دفعه الإيمان بالله و التصديق بالحقائق الدينية مدعومة بمختلف الحجج النقلية والعقلية، وكان هدفنا في هذا البحث دراسة الحجاج عند البيضاوي.

وأمكننا هذا الاختيار من الكشف عن التقنيات والوسائل الحجاجية التي يقوم عليها الخطاب التفسيري في شقه العقدي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، التفسير، البيضاوي، الخطاب.

Summary:

This study seeks to investigate the pilgrimage dimensions in the books of interpretations, where the oval was a model, he had considerable efforts in proving the argumentative mechanisms and persuasive means to prove his direction, and the argumentative theory has led to great effectiveness in approaching the various discourses and interpretative discourse in particular due to the pilgrimage richness that characterizes it and its deliberative dimensions that led to convincing the other.

Driven by faith in God and belief in religious truths supported by various transitory and mental arguments, our aim in this research was to study pilgrims at the Oval.

This choice enabled us to reveal the argumentative techniques and means on which interpretative discourse is based in its nodal part.

Keywords: pilgrims, interpretation, oval, speech.

مقدمة

لا تكاد تخلو كتب التراث الاسلامي وغيرها من تداول مصطلح الحجاج أو المحاجة في عدة مجالات، وفب عدة علوم، وخصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي، التي كثيرا ما يعتبرها الخلاف في وجهات النظر والتأويل، هكذا نجده مستعملا في علوم شتى نحوا ولغة وقراءة، وحديثا، فقها وأصولا، ومنطقا.

لذا فقد كثرت التعاريف حول مفهوم الحجاج، ودارت حول عناصر موضوعية وبنائية، ووظيفية شتى، فميدان الحجاج واسع فتحت له أبواب البحث والدراسة لارتباطه بعلوم كثيرة.

فكان لعلم البلاغة الدور في ابراز أهمية الحجاج أثناء التخاطب، ذلك أنها ترتكز على جانبين اثنين في الخطاب هما:

1- البيان

2- الحجاج لغاية اقناع المستمع.

وكل حجاج يستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية، ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يندمج في استراتيجيته الفردية والجماعية، فهنالك حجاجا خطابيا وحجاجا بلاغيا وآخر قضائيا أو سياسيا.....إلخ

وعليه يصبح الحجاج عمليا بعدا من أبعاد الخطاب الانساني المتاح باللغة المكتوبة والمنطوقة، كما أنه فعالية لسانية منطقية ضمن هذا الخطاب.

وكان من واقع اختياري لهذا الموضوع رغبتي في:

1-التعرف على مفاهيم الدرس الحجاجي (أسسه وعلاقاته).
2-محاولة التطرق لمختلف النظريات الحجاجية القديمة والحديثة.
3-التعرف على الآليات الحجاجية في كتب التفاسير البيضاوي أنموذجا.

وتأسيسا على ما سبق وجدنا أنفسنا أمام إشكالية وهي:

1-ما مفهوم الحجاج؟

2-ماذا نعني بالحجاج في الدرس الآلي.

3-ماهي أهم الآليات المتجسدة في تفسير البيضاوي.

وللإجابة عن التساؤلات السابق ذكرها جعلنا موضوعنا يسير وفق خطة بحثية بغرض التحكم الجيد في مادة البحث. جاءت هذه الأخيرة مشتملة على مقدمة، ومدخل، وثلاث فصول، كل فصل تندرج تحته مباحث. تندرج تحتها هي الأخرى مطالب فرعية جاءت خاتمة لعنوان الفصل، حيث تحدثنا في المدخل عن العملية التواصلية والحجاج بصفة عامة، أما الفصل الأول فجاء بعنوان: الحجاج وتعريفاته، يضم ثلاث مباحث:

المبحث الأول خصصناه لمفهوم الحجاج، جاء مقسما إلى مطلبين أولهما مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا، يليه المبحث الثاني بعنوان الحجاج عند القدماء، المطلب الأول الحجاج في الفكر اليوناني القديم، والمطلب الثاني الحجاج في الدراسات العربية القديمة، أما المبحث الثالث فكان بعنوان: الحجاج عند المحدثين.

المطلب الأول: فيه الحجاج عند الملحدين العرب، والمطلب الثاني: الحجاج عند العرب حديثا.

ليأتي الفصل الثاني: موسوما ب الحجاج في الدرس الألسني، والذي شمل ثلاث مباحث أولهما: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، وكان ذا مطلبين، المطلب الأول: الروابط الحجاجية، أما المطلب الثاني: العوامل الحجاجية، يليه المبحث الثاني بعنوان: العلاقات الحجاجية، ذا مطلب واحد وهو الخطاب الحجاجي بين المرسل واتلمرسل إليه، ثم المبحث الثالث بعنوان: السلالم الحاجاجية، وكان ذا مطلبين.

المطلب الأول: نظرية السلالم الحجاجية.

و المطلب الثاني: قوانين السلم الحجاجي، التقنيات الحجاجية.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان: الحجاج في تفسير البيضاوي، جاء فيه تمهيد عن حياة البيضاوي، وثلاثة مباحث.

المبحث الأول: تقديم تفسير البيضاوي، فكان ذا ثلاث مطالب.

المطلب الأول: سبب تأليف البيضاوي لتفسيره، والمطلب الثاني: مصادر تفسير البيضاوي، المطلب الثالث: منهج البيضاوي في التفسير.

أما المبحث الثاني، فكان بعنوان: الأبعاد الحجاجية في تفسير الآيات للبيضاوي، واشتمل على مطلبين: المطلب الأول: حجاجية القول في وجود الله عند البيضاوي، يليه المطلب الثاني: حجاجية القول في وحدانية الله.

أما المبحث الثالث: فكان عبارة عن نماذج، ويشمل مطلبين، المطلب الأول: علم البيان.

أما المطلب الثاني: علم البديع في تفسير البيضاوي.

وختمنا بحثنا بخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، ثم فهرس المحتويات.

السمة الفنية التي يتسم بها الموضوع حتم علينا اتباع المنهج الوصفي التحليلي باعتباره الأنسب لتجسيد الخطة التي رسمناها بغية الكشف عن هذا المفهوم وخصائصه.

اعتمدنا في رحلة بحثنا عن مجموعة من المراجع التي استفدنا منها منها : كتاب الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية لعبدالله صولة، كتاب لسان العرب لابن منظور، و أيضا الحجاج والاستدلال الحجاجي لحبيب الأعراب.

وهذا فقد اعترضتنا سلسلة من الصعوبات، تداخل الحجاج مع جملة من العقول المعرفية (منطق الفلاسفة) اتصال البحث بقضايا العقيدة

قلة المصادر والمراجع التي تعاملت معها تفسير البيضاوي.

مدخل: العملية التواصلية

إن الحجـج هـي الطريقـة التـي يتبعهـا صـاحب مـن أجـل إقنـاع السـامع والتـأثير فيه، فمستوى الإقناع والتأثير يختلف وفق الآليات والطرق المستعملة في الخطاب.

فالحجـاج لـيس عمـلا أو وصـفا، بـل هـو مقصـود يرومـه صـاحبه عبـر التـأثير فـي الآخـر، وفـي الواقـع والـدفاع عـن الفكـرة عـن طريـق الاسـتدلال العقلـي دون إكـراه، بالبحـث عـن المعلومـات الملائمـة وسـوقها كأخبـار حجاجيـة غيـر عاديـة، حيـث تكـون للقيمة الحجاجية أولوية في الخبر الحجاجي.

فالحجاج هو توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه، أو هما معا.

فالتواصلف أساس الوجود الإنساني، إذ يسعى الانسان دائما أثناء تواصله مع غيره إلى التأثير في أفكار المخاطب ومواقفه يتوظيف أدوات وآليات مختلفة، وهذا ما اصطلح عليه الباحثون بفعل الحجاج.

فقد عنى الباحثون بموضوع الحجاج ودوره في العملية التخاطبية وقدموا العديد من المفاهيم التي تبنى عن الخلفية المعرفية التي اعتمد عليها كل باحث، فتوزعت تلك المفاهيم بين اللغوية والمنطقية والبلاغية واللسانية.

فالحجـاج يسـتمد وجـوده وفعاليتـه مـن مرجعيـة المرسـلة إيـاه (المرسـل) لأنـه يتمحـور غالبـا علـى مـا يحملـه المرسـل مـن فضـاء فكـري يرغـب مـن خلالـه نقـل رؤاه عنـدما يجـد أن عليـه أن يكـون مثـرا فـي لاالآخـر، وجعلـه يشـاركه تلـك الـرؤى، ولهـذا فـإن وظيفـة الحجـاج ترجـع إلـى طـرح الحجـج التـي تضـمن النفاذيـة للخطـاب، وبالنتيجـة حصـول الاقتنـاع الفعلـي بالقضـية المطروحـة، وهـذا يعنـي توظيـف الآليـات التـي تختـار الاعتقـاد الأولـي نحـو التغييـر وبنـاء موقـف مغـاير، فالعمليـة الحجاجيـة لا يمكـن أن تبـرز شـكل جيـد مـالم يكـن لـه داخـل المنظومـة الناقلـة للحجـج، وهـذه الأدوات تخضـع لمفـاهيم ذهنيـة هـي بمثابـة مقدمات مـن خلالهـا يـتم وضـع الآليـة التـي سـتنقل بواسـطتها الحجج خلال الظروف المحيطة بالنص، وتحويل الخطاب إلى واقع.

ويرتكز البحث في نظرية الحجاج على دراسة الطريقة أو الأسلوب الذي تبناها المتكلم للتغيير في معتقدات المتلقي واقناعه وتحقيق وظائف الخطاب الحجاجي الأخرى من إضغام أو الشمالة.....وغيرها من المقاصد.

فالحجاج من جهة كونه نظرية يدخل في اعتباره عدة عوامل تحده وتعرفه منها: التأثير في جمهور ما ، قوة القول في مقام تخاطبي محدد.

ولا تقتصر وظيفة الحجاج على الاقناع، بل قد تمتد إلى أهداف أخرى حسب طبيعة العلاقة بين المتخاطبين وملابسات التلفظ من ذلك وظيفة الافحام، فحين ينتج الفرد خطابا حجاجيا من غير توجيه إلى نص محدد فإنه يسعى بذلك إلى إعاقة انضمام المستمع أو القارئ إلى مواقف الخصم، وحين يتوجه إلى الخصم فإنه يوم آنذاك إسكاته من غير أن يجهد نفسه في الطريقة الملائمة لإقناعه.

وظائف الحجاج عديدة من بينها:

1- وظيفة اقناعية: وذلك حين يجتهد المتكلم في اقناع مخاطبه أو قارئه ليشاركه وجهة نظره، فيستنجد بأحاسيسه وعقله، وهو في الوقت نفسه يدحض حجج الأطروحة النقيض، وذلك بإظهاره نواقد في الحجة أو ضعفها.

2- وظيفة سجالية: وذلك حين يجعل المحاج هدفه الأساس السخرية من الذين لا يشاطرهم الرأي، ويمكن القول أنه يسعى أن يحبس أطروحة الخصم في مأزق.

3- وظيفة الدحض والنقض: دحض ما يعتبره المحاج مزاعم أتى بها خصمه، فيعمل على دحضها وكشف ضعف منطقها التداولي.

والحجاج فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية، وتوجيهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية إنشاء موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صورا استدلالية أوسع وأعلى من البنيات

البرهانية الضيقة، هذه الثنائية التي تميز الحجاج جعلته أكثر حضورا في العملية التواصلية مما ساعد المرسل على ايصال أفكاره إلى المتلقي وتجعله يذعن إلى ما طرح عليه من رسائل.

الفصل الأول: الحجاج مفهومه ومجالاته

المبحث الأول: (ماهية الحجاج)

إن كتب التراث العربي وغيرها لا تستغني عن مصطلح الحجاج او الاحتجاج خصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي التي كثيرا ما تضاربت الآراء والتأويلات فنجده مستعملا في علوم شتى نحوا ولغة وقراءة وفقها وأصولا وفلسفة...

فتعددت التعاريف حول ماهية الحجاج فهو ميدان شاسع فتحت له أبواب الدراسة لارتباطه بعدة علوم.

وكان لعلم البلاغة الدور في إبراز أهمية الحجاج أثناء التخاطب ذلك على أنها ترتكز على جانبين هما: البيان والحجاج لغاية إقناع المستمع، وكل حجاج يستمد معناه وحدوده من مرجعية خطابية أي أن هنالك حجاج خطابيا(لسانيا) وحجاج خطابيا (بلاغيا) وآخر سياسيا وفلسفيا...

المطلب الأول: الدلالة المعجمية اللغوية للفظ الحجاج.

في التراث العربي: الحجاج مصدر للفعل (حاج) وجذره في المعاجم العربية من بينها لسان العرب لابن منظور:

(حاججته أحاججه محاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها والحجة في البرهان قال الأزهري: (الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل محاجج اي جدل وجمع الحجة هي الحجاج، حجه يحجه حجا: غلبه على حجته وفي حديث: فجح ادم موسى أي غلبه بالحجة، قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد لان القصد لها واليها.

وفي الحجة قال ابن منظور: سميه الحجة حجة لأنها تحج أي تقصد.[1]

ويعرف الجرجاني الحجة في معجمه التعريفات:" الحجة ما دل به على صحة الدعوة وقيل الحجة والدليل واحد"[1]

[1]ابن منظور، لسان العرب تحقيق: علي الكبير وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة المجلد الثاني، الجزء التاسع مادة (ح،ج،ج= ص779)

ويقول ابن فارس وممكن أن تكون الحجة مشتقة من هذا لأنها تقصد أو بها يقصد الحق المطلوب[2].

إذن فنلاحظ هنا أن الحجاج دل على معنيين أولهما الإقناع عن طريق الجدال الفكري وثانيهما القصد.

ومن خلال كل هاته التعريفات القاموسية تبين أن لفظ الحجاج يحمل في مضمونه دلالة ومعنى مستمدين مما يشكل سياقه أو شرطه التخاطبي والمتمثل في التخاصم والتنازع والجدل والغلبة كعمليات مأخوذة من معانيها الفكرية والتواصلية[3].

دلالة الحجاج في القواميس الأجنبية:

يقابل لفظ الحجاج في الفرنسية لفظة (argumentation)التي تدل على معاني مقاربة للتي في اللغة العربية، حسب قاموس"روبير" (le grand robert)هو:" القيام باستعمال الحجج، أو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، أو هو فن استعمال الحجاج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة "·.

ونجد لفظ (argumentation) تشير إلى الدفاع عن اعتراض بواسطة حجج أو عرض وجهة معارضة مصحوبة بحجج"[4].

الدلالة الاصطلاحية للحجاج:

إن مفهوم الحجاج صعب حصره والإحاطة به، فيمتاز بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله "إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية والبلاغية وفي الدراسات القانونية والمقاربات اللسانية والنفسية والخطابية المعاصرة".[1]

---

[1]ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ج2، 1399ه/1979م ص30

[2]علي بن محمد شريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الايمان، الاسكندريه – مصر،د.ط ص73

[3]الحبيب أعراب، الحجج والاستدلال الحجاجي، مرجع سابق ص99

[4]المرجع السابق ص 534

وقد عرف التهانوي الحجة بأنها:" مرادفة للدليل والحجة الإلزامية هي المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم، المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته وهي شائعة في الكتب، والقول بعدم إفادتها الإلزام بعدم صدقها في نفس الأمر قول بلا دليل لا يعيا به".[2]

وجاء في المعجم الفلسفي أن" الحجاج يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي وإبطاله والمحاجة طريقة تقديم الحجج والإفادة منها"[3].

وقد عرفت موسوعة لالاند بأن الحجاج:" طريقه عرض الحجج وترتيبها،أو هو سرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها"[4].

إذا فالحجاج هو إستراتيجية لغوية، تكتسب بعدها من الأحوال المصاحبة للخطاب على اعتبار أن اللغة، نشاطا كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق".[5]

فالمتكلم أثناء قيامه بالعملية التخاطبية ينقل تصوراته المتواجدة في الواقع إلى المستمع قصد التبليغ أو الأخبار وبالتالي يقوم المتكلم بإقناع الطرف الأخر وتعبير أفكاره، خاصة عندما يكون هناك اختلاف وتضارب في الآراء إذن يستعمل الحجاج أو خطابا حجاجيا. " فالحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو يعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق"[6]

إذا علينا أن نشير وأن نؤكد بأن مفهوم الحجاج صعب تحديده بدقة وذلك بسبب تشعب مجالاته، إذ أننا نجد بعضهم يرى أن الحجاج في الدراسات الحجاجية ضربين أحدهما: "أنت فيه لا تخرج من مجال المنطق وبذلك يكون مرادفا للبرهان والاستدلال وضرب هو واسع

---

[1] محمد طروس النظرية الحجاجية، من خلال دراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعه النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1. 2005 ص6

[2] محمد علي التهانوي كشاف الاصطلاحات والمتون والعلوم، تحقيق، رفيق العجم وعليتحروجت.ط. ج1 ص622

[3] إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، معجم اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون الطبع الأميرية، القاهرة، 1403ه/1983م، ص67

[4] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت المجلد الأول ص93

[5] عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي، في ضوء النظرية التداولية، الجزائر، الطبعة1، 2003، ص120

[6] الحبيب أعراب، الحجاج والإستدلال الحجاجي، مرجع سابق ص100

المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ"[1]

وقد عرض ريتشارد مالكوم جملة من المفاهيم الحديثة للحجاج كانت متفقة مع الدراسة الفلسفية الحديثة إذ اتفقا فيما بينهما على أن الحجاج عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم ولعل أدل هذه المفاهيم: الأول: طريقة تحليل واستدلال، بقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك. الثاني: عمليه اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين[2].

إن المحرك للحجاج هو الاختلاف، فالحجاج لا يكون في ما هو يقين إلزامي، فنحن لا نخرج في أمر صارم واجب النفاذ، وإنما يكون الحجاج كما يقول" فيما هو مرجح وممكن، كما أن البراهين التي تقدمها المحاجة ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة ثبت أو تنفي بحيث تفرز ما تقرره أو تنفي ما تنفيه إذ ليس لمسألة ما تدور حولها محاجة حقيقية واحدة أو مطلقة بل لها حقائق متعددة أو متدرجة وكل الأدلة ترجح إحداها على الأخرى أو أن تصل إلى ما هو أقرب للصواب.[3]

لقد تناول الباحثون مصطلح الحجاج من زاويتين، الأولى تعني بدراسة العلاقة بين المتكلم والمتلقي وما تحمله هذه العلاقة من استعمال آليات الإرسال ومراعاة حال المتلقين أما الثانية فتعتبر الحجاج بنية نصية وهنا يتم التركيز فقط على الجوانب اللغوية.[4]

وقد ركز الحجاج على الجانب اللغوي مما جعله يظهر بمظهر تواصلي، من خلال ما يقوم به في العملية التواصلية، إذ أنه " يأتي كشكل من أشكال التواصل والتخاطب والحوار".[5]

---

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائص الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007،ص8

[2] جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2000، ص105

[3] المرجع نفسه ص65،66

[4] يمينة ثابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، مجلة الخطاب، دار الأمل الجزائر، ع2، 2006م، ص286

[5] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نتغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا، الشرق المغرب2007م ص12

إذن هذه بعض المفاهيم التي حاولت أن أجمعها لأوضح ملامح الحجاج هذا المفهوم الناتج الذي يتحرك عبر دلالات متنوعة ومن أجل الوصول إلى جوهره آثرت إلى أن أتوسع وأتعمق في تلك المفاهيم التي تطرق إليها الباحثون العرب والأجانب في مبحث قائم عن نظريات الحجاج.

المطلب الثاني: علاقة الحجاج بمجاله المفهومي.

ارتبط الحجاج عبر مساره التاريخي بمصطلحات طالما اعتبرت مرادفات له، لهذا تعد مسألة تداخل المصطلحات أول ما يعترض الباحث في هذا الحقل.

1-الحجاج والجدل: جعل العرب لفظ الجدل مرادف للحجاج فيقول ابن منظور:"... وهو رجل محاجج أي جدل وحاجه محاجة وحجاه نازعه الحجة."[1]

وبهذا يكون الحجاج الخصام والنزاع بواسطة الحجج وهذا هو الجدل بعينه.

ذلك أن الأخير يفيد المحاورة أي استعراض الأفكار المتناقضة حول موضوع ما وهو تبادل الحجج والأفكار وتبادل وجهات النظر المختلفة من أجل الوصول إلى الحقيقة أو هو ذلك الجدال بين طرفين دفاعا عن وجهة نظر معينة.

ففي اللغة نجد أن الجدل يحمل معنى المخاصمة والمناظرة فالجدل هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وهو علم يقتدر به على حفظ أي وضع يراد وله باطلا أي وضع يراد وله حقا".[2]

أي الجدل يحمل في ذاته تحقيق الغلبة والتفوق لأحد الأطراف وإلحاق الهزيمة بالخصم.

وبذلك يكون الجدل في أحد أوجهه حجاجا، ذلك أنه يستعمل اللغة في المنازعة والمغالبة حينئذ يصبح معادلا للحجاج.

والترادف نجده عند ابن حزم الذي كلما أورد لفظ الحجاج إلا وهو يعني به الجدال والعكس صحيح وهذا عندما صنف الجدال إلى صنفين مستشهدا في ذلك إلى القرآن الكريم.

---

[1] ابن منظور لسان العرب مادة (ح.ج.خ)

[2] ابو بكر الغراوي حوار حول الحجاج ص87

الصنف الأول: وهو الصنف المحمود والمشروع، أي الجدال بالتي هي أحسن من اجل إظهار الحق وفي هذا الصنف قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ النحل: 125.[1]

في هذه الآية الكريمة أوجب الله تعالى الجدال المحمود لما يحويه من رفق وبيان والتزام بالحق والرجوع إلى ما أوجبته الحجة القاطعة.

الصنف الثاني: وهو الصنف المذموم وله وجهان:

أ- أن يجادل المجادل نصرة للباطل بشغب وتمويه بعد ظهور الحق إليه، مثل قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ٥٦﴾ الكهف: 56.[2]

ب- وجه يجادل فيه المجادل بغير علم، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩﴾ الحج: 8-9.[3]

كما يرى ابن وهب في تصوره للجدل أنه يقع في العلة وهو برأيه هذا يتقاطع مع النظرية الحجاجية المعاصرة وكلاهما يستمد آرائه من المفاهيم الأرسطية والجدل عنده هو خطاب تعليلي إقناعي.

أما ابن عاشور فيقر بأن هناك فرقا جوهريا بين معني اللفظتين من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ البقرة: 258[4]

[1] سورة النحل، الآية 125.

[2] سورة الكهف، الآية 56.

[3] سورة الحج، الآيتان 8-9.

[4] سورة البقرة، الآية 258.

إذ يرى أن معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ولا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوة مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة،... وأن أغلب أنه يفيد الخصام بباطل"[1] فالواضح من هذا القول أن ابن عاشور يحذو حذو ابن منظور في مفهومه للحجاج الذي يحمل معنى الخصام.

إذن يفهم من كلام ابن عاشور أن الإنسان إذا كان قادرا على الحجاج سمي مجادلا. وارتباط الجدل بالقدرة على الخصومة لم يفت ابن منظور فقد قال:"والجدل اللدد في الخصومة والقدرة عليها"[2].

فكأن هو الذي أهل لفظة "الجدل" على صعيد الاصطلاح دون لفظة "الحجاج" لتكون المصطلح الذي يطلق على العلم الذي مداره قواعد المناظرة في مجال الفقه وغيره.[3]

وقد ورد لفظ الحجاج والجدل مترادفين بكثرة في اصطلاح القدماء وإن لنا في كتب علوم القران ومنها كتاب: "البرهان في علوم القران" للزركشي (ث794هـ) وكتاب الإتقان في علوم القران للسيوطي ث(911هـ) ما يدعم الرأي القائل بهذا الترادف، فكل منها حين يعرض لجدل القرآن، يقيم اللفظتين (الحجاج والجدل) مقام الآخر إذا وسما الفصل الذي عقداه لهذا العلم بجدل القرآن مستخدمين فيه ألفاظ (المحاجة والحجاج والاحتجاج) على أنها مرادفة للفظ الجدل وتستمده.

وفي اللغة نجد أن الجدل يحمل معنى المخاصمة والمناظرة، وأيضا مقابلة الحجة بالحجة، ويحتمل أيضا معنى المغالبة.[4] وهو ذات المعنى الذي يحمله الحجاج، فالجدل مجملا يطلق

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحليل والتنوير، الدار التونسية....،تونس 1396/ج3 ص31،32

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح،د،ل)

[3] عبد الله صولة الحجاج في القران الكريم ص12

[4] عبدالله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص12.

على المشادات الكلامية التي تنعي إلى تحقيق الغلبة والتفوق لأحد الأطراف وإلحاق الهزيمة بالخصم.

أو هو إقناع بواسطة القواعد والأساليب والطرق التي يتوصل بها إلى تحقيق الهدف من الكلام، سواء أكان ذلك الكلام أو الرأي في الفقه أو في غيره، وهذا الإقناع يكون من خلال معرفة القواعد من الحدود والآداب وفي الاستدلال يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه سواء كان ذلك الرأي في الفقه أو غيره".

ويكاد هذا التعريف للجدل يكون ألصق بالعلوم اليقينية والعقلية، في حين يوجد تعريف آخر للجدل بأنه" عبارة عن قدرة كلامية وبراعية حجاجية ".

وهذا التعريف يصف بأنه قدرة كلامية يتعلمها المتكلم في إقناع متلقي وبذلك يكون الجدل في أحد وجوهه حجاجا، إذ أنه يستعمل الكلمة في المنازعة والمغالبة حينئذ يصبح الجدل معادلا للحجاج إلا أنه أوسع منه مجالا، أي أن الغرض من الجدل هو إلزام الخصم والتغلب عليه في حين أن الحجاج لا يلزم الخصم على الإذعان والقبول.

2) الحجاج بين الجدل والخطابة:

يرى عبد الله صوله أن الحجاج هو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة من حيث أن الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج ويمضي في تفسيره لهذا التداخل وتموقع الحجاج بين الجدل والخطابة، فيبين أنه يوجد على الأقل حجاجين: جدلي وخطابي، أما الجدل الجدلي فمن قبيل ما عرض له أرسطو في كتابه الطوبيقي (topiques) ومعناه المواضع أي مواضيع القول ومداره على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محقة لغاية التأثير العقلي المجرد، ونمثله في التراث العربي الإسلامي مناظرات "كعلم الكلام" كما نمثله المناظرات الفقهية، هذا الحجاج الجدلي موجود في القرآن الكريم معتبر من بدائعه وهو الذي ثبت هذا كتب علوم القرآن فاستخرجه

ودرسه تحت عنوان جدل القرآن أو المذهب الكلامي في القرآن أو الاحتجاج النظري في القرآن[1].

أما الحجاج الخطابي فمن قبيل ما عرض له أرسطو في كتابه الخطابة وهو حجاج موجه إلى جمهوره ذي أوضاع خاصة في مقامات خاصة والحجاج هنا ليس لغاية التأثير النظري في العقل، وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات وإلى إرضاء الجمهور واستمالته، وله كان ذلك لمعالجته وخداعه وإيهامه بصحة الواقع على نحو تبدو معه الخطابة من هذه الناحية على الأقل من قبيل التخيل[2].

من أجل هذا دون شك أحجم القدماء على أن ينظروا إلى القرآن من منظور البلاغة التي كانوا يعتمدون في تعريفها بعض ما نجده تعريف الخطابة حتى مات مفاهيم البلاغة عند الجاحظ إذ أنه عرف البلاغة تعريفا يوافق الأغراض والحجج في الخطابة فهي عنده كما جاء في البيان والتبيان "البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة وإظهار ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل[3]

3) الحجاج والحوار (المحاورة أو التحاور):

المحاورة والحوار: المرادة في الكلام ومنه التحاور.

والحوار: الجواب: يقال كلمته فما رد الى حوار او حويرا أي جوابا، وإستحار الرجل أي إستنطقه وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. ومن معاني المحاورة: المجاوبة من فعل حاور الدال على المشاركة والتحاور والتجاوب، نقول أحرت له جوابا وما أحار بكلمة.

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القران الكريم ص17،18

[2] عبد الله صولة، الحجاج في القران الكريم ص18

[3] حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره الى القرن السادس الهجري، منشورات الجامعة التونسية

أي أن المحاورة تحمل معاني التفاعل بين الطرف الأول والطرف الثاني فالأول يطرح سؤالا أو يبدي رأيا فيرد عليه الثاني فيناقشه وهنا يلتقي معنى الحجاج أو الحوار فالمحاجج حين يطرح حجته ينتظر من الطرف الآخر أن يحاوره ويسأله ويجيبه ويناقشه.

والحوار يدخل في صميم الحجاج، والحجاج يتضمن الحوار. والحوار من أهم الألفاظ المستعملة في هذا المجال وخاصة في العصر الحديث أي أن الحوار هو وسيلة من وسائل التواصل والتعايش والتقارب بين التيارات الفكرية المختلفة.

الحجاج والبرهان:

إن مفهوم الحجاج والبرهان كان محط اهتمام العديد من الباحثين على مر العصور فالقدماء فرقوا بين البرهان والحجاج فقالوا بأفضلية الأول لكونه يتألف من مقدمات يقينية مضمونا في الوقت الذي تبقى فيه المقدمات الجدلية ظنية فالفرق بينهما يعود بالأساس إلى طبيعة المقدمات لا إلى صرامة الاستنتاج.[1]

فالجدل عندهم يستعمل مع القاصرين عن إدراك البرهان وذلك لإلزام الخصم وإفحامه، أما البرهان فهو يرمي إلى إثبات الصحة، وهو ينظر في القضايا بحد ذاتها.

لذلك فالبرهان نمط استدلالي ينفرد بمميزات خاصة كاليقين والقطيعة والدقة وهذا ما تبينه ابن منظور بقوله:" البرهان الحجة الفاصلة والبينية. يقال برهن يبرهن برهنة. إذا جاء بحجة قاطعة يرد الخصم".[2]

وهنا يصنف ابن منظور البرهان كنمط من الحجاج بمميزات خاصة، فالبرهان هنا الإتيان بالدليل القاطع لإثبات صحة الدعوة حتى لا يكون فيه شك واحتمال.

وأغلب الدراسات والبحوث التي لها صلة بموضوع الحجاج كانت تميزه عن البرهنة وتبين التعارض القائم بينهما فمجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد والمتوقع وهو لصيق دوما

[1] حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، افريقيا الشرق الدار البيضاء الطبعة الثانية 2013 ص98

[2] ابن منظور لسان العرب، ص271.

بالخطاب وباللغات الطبيعية أما البرهنة فمجالها المنطق واللغات الاصطناعية الرمزية بشكل عام.

وقد وردت كلمه " برهان" في القران الكريم في ثمانية مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة: ١١١[1]

قال الزمخشري في تفسيرها "قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى فقل هاتوا برهانكم، هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم، وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين، وإن كل قول لا دليل عليه فهو باطل.[2]

اذا: فالبرهان هنا هو الاتيان بدليل قاطع لإثبات صحة الدعوى، حتى لا يكون فيه شك واحتمال اما حديثا سيقابل مصطلح البرهان باللغة الاجنبية (demonstration)، إلا أنه يوجد من يفضل مقابلته بمصطلح (argumentation) [3].

[1] سورة البقرة، الآية 111.

[2] ابو القاسم جار الله الزمخشري الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، تحقيق الشريف علي بن محمد السيد، دار الفكر الطباعه والنشر بيروت ج1، ط2006، ص305

[3] يعتمد مصطلح (argumentation) في المقابل العربي للحجاج، لان هناك من يترجم ذلك بالبرهان مثل ما فعل صلاح فضل في كتابه الخطاب وعلم النص.

المبحث الثاني: الحجاج عند القدماء.

المطلب الأول:الحجاج في الفكر اليوناني القديم.

لقد تناول فلاسفة اليونان الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية بدرجة عالية من الدقة والشمول، ساعد في ذلك التفتح الديموقراطي الذي شهدته الحضارة اليونانية.

وقد كان لأريسطو أعمال كانت عبارة عن آراء متعلقة بالحجاج فقد قدم مفهوما للحجاج ويجعله قاسما مشتركا بين الخطابة والجدل، ذلك أن الخطابة أو الريطوريق (la rhéthorique) بالمفهوم اليوناني كما ترجمها العرب القدامى هي: فن الإقناع عن طريق الخطاب، وأن الوظيفة الإقناعية هي وظيفتها الأساسية، كما أكد ذلك الفرابي في قوله: "الخطابة صناعة قياسية غرضها الاقناع".

وقد أكد أريسطو وجود الحجاج في الخطابة كما في الجدل فهو القاسم المشترك بينهما، على سبيل المثال من حيث إن الجدل والخطابة "قوتان لإنتاج الحجاج "[1]، بمعنى آخر أن الخطابة تعتمد للحجاج شأنها في ذلك شأن الجدل. ويقول أرسطو:" كما أن للجدل ضربين من الحجاج هما الاستقراء والقياس الحقيقي أو الظاهري فالأمر كذلك فيما يتصل بالخطابة: لأن المثل استقراء والضمير قياس ظاهر، وتبعا لذلك أسمي ضميرا القياس الخطابي وأسمي المثل استقراء خطابيا".[2]

إن هذه العلاقة القائمة بين الجدل والخطابة من جهة نوع الحجج تجعل الخطابة كما يقول أرسطو نفسها فرعا من الجدل.[3]

فقد تناول أريسطو الحجاج من زاوية بلاغية ومن زاوية جدلية، فمن الزاوية البلاغية سيربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالاقناع فمن الزاوية الجدلية، يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في نية حوارية وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها الضرورة، فهاتان النظريتان

[1]أرسطو، الخطابة، تعريب، عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام، بغداد 1986، الفصل 2، 1356، نقلا عن عبد الله صولة الحجاج، في القرآن الكريم ص17

[2]أرسطو الخطابة، المصدر السابق

[3]عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم ص17

المتقابلتان تتكاملان في التحديد الذي يقدمه (أرسطو° لمفهوم الخطاب، إذ يبينه انطلاقا من أنواع الحضور ومن الرغبة في الاقناع، ويحدده في ثلاثة أنواع: النوع الاستشاري، النوع القضائي والنوع القيمي، وقد ميز بين ثلاث مستويات من الحجج في

(الآيتوس– الباتوس– اللوغوس)في علاقتها بالأركان الثلاث للفعل الخطابي: (الخطب– المستمع– الخطاب).

الإيتوس« échos »: الباتر الخطيب: يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه.

الباتوس«pathios»: المتلقي المستمع: ويشكل جملة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين.

اللوغوس«logos»: الرسالة –الخطية: وتمثل الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي.[1]

إذن يمكن القول أن البلاغة الحجاجية اتضحت معالمها مع أرسطو من خلال مؤلفه المعروف بالخطابة حيث يعد أهم كتاب أنجز، وما يميز هذا الكتاب تركيزه على الوظيفة الاقناعية التي استخلصها من بحث ضمن المنطق الجدلي أو التواصل اليومي، مما بيركيان بتسميته بأب الحجاج اعترافا منه بفضله ومكانته في الدرس البلاغي الحجاجي

المطلب الثاني: الحجاج في الدراسات العربية القديمة.

يضرب الحجاج بجذور قوية في الخطاب العربية فضلا عن دور المهم الذي لعبه في الحياة العقائدية والسياسية في البيئة العربية والإسلامية فقد اعتمدوا على البنية الحجاجية في الخطاب العلمي البلاغي مثلا عند عبد القاهر الجرجاني عن إعجاز القرآن باقناع الناس بفكرة التنظيم فقد كانت استراتيجية الإقناع بالحجاج واضحة في القرآن الكريم وأقول الرسول

[1] محمد طروس، النظرة الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، مرجع سابق ص18

صلى الله عليه وسلم، فقد استعملوا هاته الاستراتيجية في خطابات سبقت هذه الفترة فتمثلت في المنجزات الخطابية والمناظرات القبلية في العصر الجاهلي وتبلورت في كثير من العلوم كعلوم الفقه وأصوله وعلم الكلام...

ولكن البلاغة العربية لم تهتم في بداية الأمر بالمخاطب مما جعل حضورهن لاحقا، عاملا قويا في تغيير الخطاب العربي وفي بروز جديدة معتمدة على البيان والحوار والحجاج والإصغاء وذلك في وقت كان فيه صليل السيوف يعلو على صوت العقل.[1]

وظهر "الجاحظ" مدافعا عن الحوار وثقافته واضعا نظرية لبلاغة الحجاج والاقناع، يكون مركزها الخطاب اللغوي بكل ما يصاحبه من وسائل إشارية ورمزية ودلالات لفظية وغير لفظية، وأساسها مراعاة أحوال المخاطبين لأن أول البلاغة في نظر الجاحظ هو اجتماع آلاتها فمدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام والبيان عنده يتسع ويضيق بحسب المقام، لكنه في كل الحالات هو البلاغة وهو الحجاج، إنه اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ,,,,,,,,,, دون الضمير... إنه الدلالة الظاهرة على المعنى الحقيقي الذي فبأي شيء بلغت الاهتمام وأوضحه المعنى فذلك هو البيان.[2]

لقد كان للحدث الكلامي عند الجاحظ مكانة عظيمة فهو أول مفكر عربي دقق في تراثه على نظرية متكاملة تقرر أن الكلام وهو المظهر العلمي لوجود اللغة المجردة ينجز بالضرورة في سياق خاص يجب أن تراعى فيه بالإضافة إلى الناحية اللغوية جملة من العوامل الأخرى كالسامع والمقام وظروف المقام، وتحتل الوظيفة وهي في مصطلحه "الغاية" و"مدار الأمر" حجر الزاوية في هذا البناء لأنها هولت الكلمة والهدف الذي تسعى هذه الأطراف إلى تحقيقه.

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، 2008 ص211

[2] أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيان، تحقيق عبد السلام،هارون، القاهرة ج1،دت ص67

والكلام عنده لا يمكن تمييزه عن البلاغة، فهو في نظره يضطلع في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما:

أولا: الوضعية الخطابية وما يتصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج ومنازعة ومناظرة. وهي مصطلحات يكثر الجاحظ من استعمالها ونلاحظ أن الخطب التي أوردها في هذا المجال تدور على ثلاثة محاور:

محور ديني نجد فيه خطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخطب الصحابة، ومحور سياسي تجد فيه خطب الحجاج وزياد وأنصارهما ومحور ثالث: جدلي مذهبي كان نتيجة للصراع الفكري الذي عرفه المسلمون منذ نهاية العصر الراشدي وهذه المحاور الثلاث يغلب عليها طابع الحجاج الذي يكثر الجاحظ من ذكر مادته اللغوية بجميع انشقاقها الصرفية ومتعلقاتها الدلالية.

أما الوضعية الثانية: فهي: الفهم والإفهام أو البيان والشب ويعلنا في غنى عن إثبات أن البيان في مفهومه العام يقتصر على أداء هذه الوظيفة. ويرى محمد العمري أن مادة البيان والشبت لا تخرج عن ثلاثة محاور أولهما وظيفة البيان وقيمته، ثانيهما: العملية السيانية وأدواتها أما الثالثة فخاصة بالبيان العربي قيمته وتاريخه.

إن دراسة الحجاج عند الجاحظ ارتبطت بدراسته للبيان الذي اهتم فيه بالفهم والافهام وبذلك مفهوم البيان عنده يتلخص في المعرفة والاقناع كمفهومين ووظيفتين في آن معا، البيان معرفة: الوظيفة الإفهامية، البيان اقناع: الوظيفة الاقناعية.

ومن العناصر الحجاجية التي اهتم بها الجاحظ نذكر:

مقتضيات المقام وما تشمله من أحوال الخطيب وكفاءته اللغوية وهيئته وصفاته الخلقية، فالجاحظ دائم الإلحاح على الشروط اللازمة توفرها في المتكلم من حيث النبرة والحذق للآلة البلاغية والنصوص الاستشهادية إضافة إلى اختيار القالب اللغوي الكفيل بإنجاح الفحوى والمقاصد ودفع السامع إلى تحقيق المضامين النصية لقد أورد أبو الوليد الباجي في كتابه "المنهاج في ترتيب الحجاج" أن الحجاج يعد علما من أرفع العلوم قدرا وأعظمها مكانا، لأنه

السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم.[1]

كما اهتم أقطاب البلاغة العربية بفكرة المقام ومطابقة الكلام لمقتظى الحال، حتى قالوا: "لكل مقام مقال".

فأبو الهلال العسكري يقول في كتابه الضاعتين: واعلم ان المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال فإذا كنت متكلما أو احتجت إلى عمل خطبة لبعض ما تصلح الخطب او قصيدة لبعض ما يراد له التقصيد، فتجط ألفاظ المتكلمين مثل الجسم والعرض والكون والتأليف والجوهر فإن ذلك هجنة[2]

أما السكاكي فيقول في كتابه "مفتاح العلوم"، ولا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يتباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام أبجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل... وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام فكل كلمة مع صاحبتها مقام وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك يحسب مطابقة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال.

وهذا النص يؤكد العلاقة الوثيقة بين المتلقي والمقام ووجوب الالتفات إلى أغراض الخطابة فالكلام الموجه إلى الذكي ليس نفسه الكلام الموجه إلى الغبي ويتغير أحوال المتلقي بتغير قصد المتكلم وإن الفهم السليم للكلام لا يقاس بفهم معنى الجمل فقط بل بالإدراك السليم لمراد مقاصد المتكلم منه حتى يتحقق الإقناع والتأثير.

---

[1] أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2000م ص8

[2] أبو الهلال العسكري، كتاب الضاعتين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1989، ص135

فالجاحظ في البيان والتبيان كان يرى أن الشاهد هو عنصر من عناصر الحجاج كما أنه مرادف للحجة والدليل والبرهان ومن جهة أخرى نجد أن السكاكي اهتم بدراسة بيان العبارة مقعدا بذلك لعلم البيان فعلم البيان عنده هو اعتبار الملازمات بين المعاني، وموضوعه الصيغ التي لا تقف عند دلالتها الوضعية بل تتجاوزها إلى دلالات عقلية فالتجاوز يتم عن طريق اللزوم العقلي والاعتقادي وتتمثل أنواع الملازمات في:

الانتقال من الملزوم إلى اللازم مثل: رعينا غيبا والمرات لازمه وهو النب ويمثل هذا الانتقال المجاز.

الانتقال من اللازم إلى الملزوم: مثلا فلان طويل النجاة والمراد طويل القامة الذي هو ملزوم طول النجاة ويمثل هذا الانتقال الكناية.

الانتقال من الملزوم إلى اللازم مع تقدمه تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له وتمثله الاستعارة بهكذا اتحددت فكون علم البيان عند السكاكي في التشبيه، المجاز (المرسل والاستعارة) الكناية.[1]

فالصورة البيانية من أساليب الحجاج في البلاغة العربية ترجع وضيفتها إلى الإقناع والتأثير.

أما ابن جزم الأندلسي فقد اشتغل بالحجاج كثيرا وهذا ما نراه في موسوعته: "الفصل في الملل والأهواء والنحل" إذ نجد في الكتاب فصولا حجاجية. فقد اتسمت كتاباته الفلسفية بالطابع الحجاجي حتى أصبح يلقب بالمفكر الحجاجي بدليل أنه كان لا يهدأ من السجال والحجاج والجدال بالمناظرات لدرجة أنه يناظر كل شخص يقابله.

كما كان يعتمد كذلك خلال مناظراته على الأدلة العقلية وهي في نظر ابن جزم "القرآن أو السنة أو الإجماع بالصحابة فهو يؤكد بأن الله غنما كلفنا إتباع القرآن وبيان الرسول الكريم الذي نقله إلينا أولوا الأمر منا، على ما بينا فقط، ولأن أحكام الدين كلها من القرآن والسنة لا

[1] جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال ص162،163

تخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما، إما وحي مثبت في المصحف وهو القرآن، وإما وحي غير مثبت في المصحف وهو بيان رسول الله.[1]

[1]عبد المجيد تركيظن مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، تحقيق وتعليق د. عبد الصبور شاهين، مراجعة محمد عبد الحليم محمود، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط1، 1986 ص166

المبحث الثالث: الحجاج عند المحدثين.

المطلب الأول: عند الغرب.

لقد قام مجموعة من الباحثين في تقمص نظرة جديدة لدرس للدرس الحجاجي القديم أو ما يعرف بالحجاج الأرسطي الذي يعتبر الانطلاقة الأساسية للحجاج ومن أهم الباحثين نجد 1- ليبرمان وزميله، في البلاغة الجديدة 2- ديكرووأنسكومبر في التداوليات المدمجة و 3- ميشال مابير في نظرية المساءلة وتولمينن ومشروعه الحجاجي.

الحجاج عند بيرلمان: لقد قام بيرلمان بتطوير مؤلفاته النظرية الحجاجية وخاصة في مؤلفه المشترك مع تيتكا (travail de l'argumentation) مصنف في الحجاج الذي ظهر في الأول باسم la nouvelle nethorique أو الخطابة الجديدة أي يكون تفاعل بين الخطيب والجمهور كما كان ذا صلة مع الخطابة الأرسطية. فعرف الحجاج بأنه "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو ام تزيد في درجة ذلك التسليم" فقاما بتقسيم الحجاج بحسب نوع الجمهور إلى نوعين هما:

الحجاج الاقتناعي: وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل وهو عام وهو الذي ركز عليه لكونه عقليا والحجاج يحدث بي الاستدلال والاقناع.

وقد جعلا غاية الحجاج هي جعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الاذعان تقوى درجتها لدى السامعين.

فقد قاما بإخراج الخطابة من دائرة الاتهام بالتلاعب بالجمهور على نحو ما فهمها أرسطو وابن سينا وبارث[1].

فأهم النتائج التي توصل إليها سير لمانوتيتيكا في دراستهما للحجاج:

[1] ينظر: خلية البحث التربوي، الحجاج في درس الفلسفة افريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2006، ص52.

محاولة تخليص الحجاج من دائرة الجدل والخطابة الذي كان سليل هذه الآخرة خاصة عند أرسطو.

اعتبار الحجاج حوارا غير مرتبط بالجدل كما رأينا عند اريسطو فهو حوار بين الخطيب وجمهوره.

الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية.

العملية الحجاجية عملية تنطلق من أطروحة وتتجه إلى الاقناع.

فحاولا هذان المؤلفان من اعادة الاعتبار للحجاج وتبرئته من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب موضع خضوع. فالحجاج عندهما هو حوار سعي الى احداث اتفاق بين الأطراف المتحاورة دون ضغط وفي جو من الحرية.

الحجاج عند ديكرو:

لقد وضع اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو نظرية تهتم بالوسائل اللغوية التي يستخدمها المتكلم بصدد توجيه خطابه وجها ما.

نتحدث عن الحجاج في مؤلف المشترك مع أنسكومبر المعنون ب l'argumentation de la langue "الحجاج في اللغة ليقرا بأن الحجاج متجذر في اللغة أي لا يمكن فصل اللغة عن الحجاج.[1]

يقول ديكرو: "إن السلسلات الحجاجية الممكنة في خطاب ما ترتبط بالبيئة اللغوية للأقوال وليس فقط بالأخبار التي تشمل عليها".

وقد ركز ديكرو في بنائه للعملية الحجاجية على نموذج خاص به، الذي يساهم بقسط بير في بلورة العملية الحجاجية. فقد كانت نظريته تنطلق من 3 مبادئ هي:

- الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج
- المكون الحجاجي في المعنى أساسي والمكون الإجباري ثانوي.

[1] خلية البحث التربوي، مصدر سبق ذكره، ص53.

- عدم الفصل بين الدلاليات والتداوليات[1].

وقد بين أن الظواهر الحجاجية اللغوية تدعو إلى دراسة الحجاج على مستويين: 1) المستوى الخارجي حيث يشكل النص في كليته حجة.

2) المستوى الداخلي يمثل الحجاج في المعجم والروابط الحجاجية والأفعال اللغوية.[2]

إذن فديكرو لا يهدف إلى إخبار المتلقي ولا إعطاء معلومات بل سعي للتأثير في المتلقي ودفعه لإعطاء رأيه وأخذ موقف. وقد ركزا ديكرو وأسكومبر في كتابهما على التداوليات المدمجة التي كانت تقوم على تصور خطي لعلاقة التركيب والدلالة وللتداول وقد أضاف أيضا جانب مهم وهو السلم الحجاجي بعدما استنتج أن الأقوال الحجاجية ليست على درجة واحدة من القدرة بل تتفاوت في قوتها الحجاجية.

الحجاج عند ميتال مابيير:

لقد عرف الحجاج على أنه "الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"[3]

إذن فالحجاج عنده يقوم على الصريح والضمني.

فالحجاج الضمني حسبه هو الذي يوجد في معنى الجملة الحرفي شارة حجاجية تؤدي إلى ظهوره وفق ما يمليه المقام وتلوح بنتيجة ما تكون مقنعة أو غير مقنعة،[4]

ومن أهم نقاطه في العملية الحجاجية هو ربطه نظرية الحجاج بنظرية المساءلة، فالحجة عنده هي عبارة عن جواب أو وجهة نظر يجابه بها عن سؤال يستنتجه المتلقي ضمنيا من ذلك الجواب، أو يمكن القول أن الحجة هي عبارة عن جواب لسؤال ضمني يستخرج من الجواب نفسه.[5]

---

[1] ينظر: خلية البحث التربوي، مصدر سبق ذكره، ص53. ص53

[2] ينظر المرجع نفسه ص نفسها

[3] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم ص37

[4] ينظر المرجع نفسه، ص نفسه

[5] ينظر المرجع نفسه، ص 38

فالسؤال عنده هو عبارة عن مشكلة تتطلب إجابة، تكون هذه المشكلة موجودة فيها. مثال:

حجاج صريح --> الحجة (هو جواب مصرح به).

حجاج ضمني --> السؤال (يكتشفه المتلقي لمعطيات مقامية).

وفي الأخير نستخلص أن الخطاب الحجاجي عند ميشال ماسيير هو عبارة عن إثارة الأسئلة والتي تكون ثنائية (سؤال جواب)

الحجاج عند تولمين:

سنقوم باستخلاص مفهوم الحجاج عند تولمين من خلال الرسومات المختلفة التي صاغها في كتابه الشهير the use argument، أي استعمالات الحجة،

الرسم الأول: نجد فيه رسما حجاجيا ذا ثلاثة أركان أساسية وهي المعطى (م) والنتيجة (ن) والضمان (ض) والذي يكون ضمنيا.

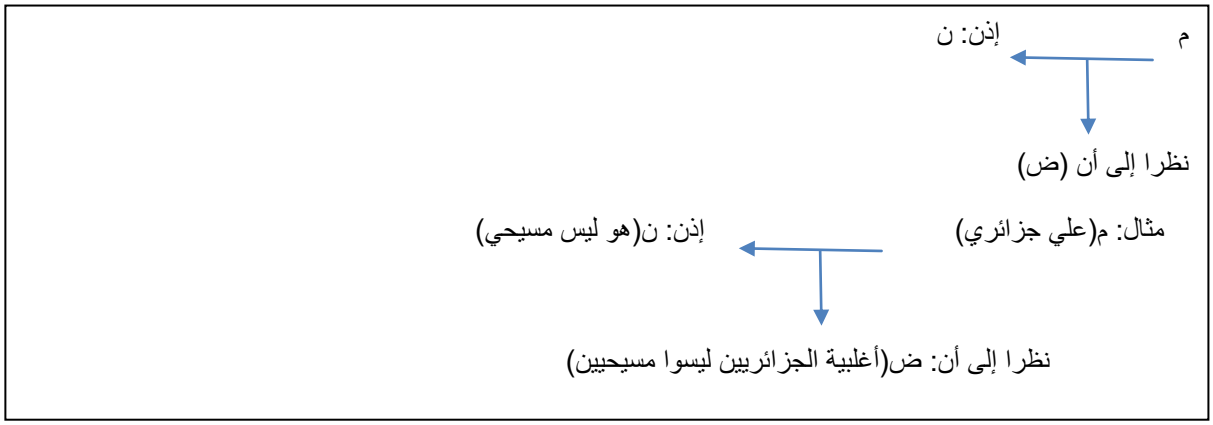

الرسم الثاني: وهو حجاج أدق من السابق بإضافة عنصران هما عنصر الموجه ونصطلح عليه ب (ج) وعنصرا الاستثناء ونصطلح عليه ب(س) الذي يحتمل شروط وعنصرا رفض القضية فيصبح كالتالي:

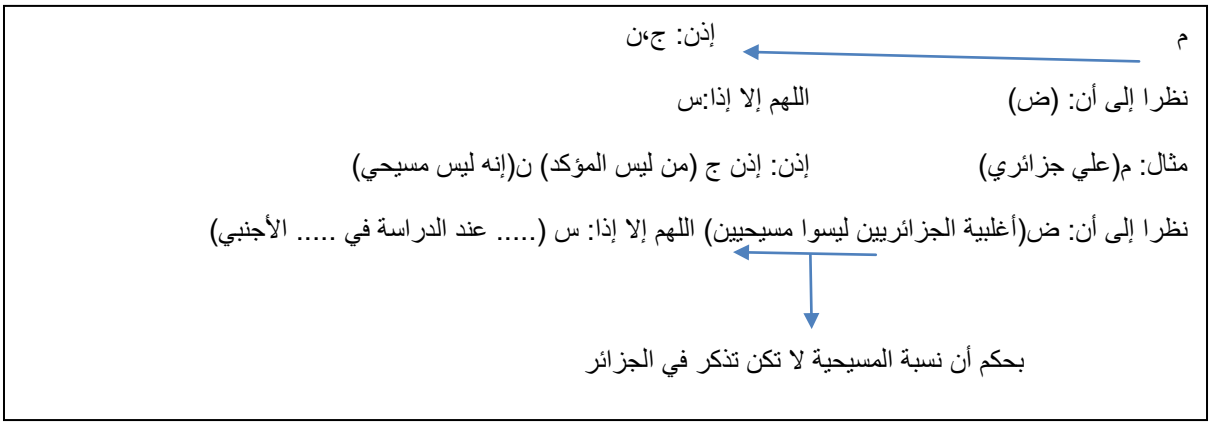

إذن فالبنية الحجاجية عند تولمين تقوم على ثلاث عناصر رئيسية المعطي ونستطيع أن نسميه الحجة وكذلك النتيجة والضامن ويمكن أن نمثلها بهذا الشكل:

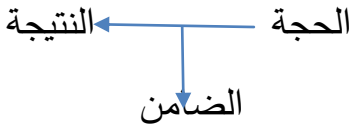

ويعد نموذج تولمن الحجاجي من بين النماذج التي تقوم عليها النظرية الحجاجية.

المطلب الثاني: الحجاج عند العرب حديثا[1]

لقد أخذت المشاريع الحجاجية العربية الحديثة منحنى ذا صيت واسع فجاءت مسطرة في دراسات وأبحاث وكتب ومقالات... متفرقة من باحث إلى آخر.

يعد الدكتور "أبو بكر العزاوي" من أصحاب المشاريع الجديدة للدراسات اللغوية والحجاجية خصوصا، بحكم انفتاحه على النظريات الغربية. فمن أهم المشاريع الحجاجية مجموعة من الكتب فمن أهم كتب اللغة والحجاج، الخطاب والحجاج والحوار والحجاج والاختلاف فيما يخص كتابه اللغة والحجاج فقد حاول الإحاطة بتحديدات أساسية لنظرية الحجاج اللغوية.

ويرى أن النظرية الحجاج ليست مقرونة بالبدايات الكلاسيكية للبلاغة الأرسطية فأساس هذه النظرية حسبت تنطلق من أقطاب مدرسة "أكسفورد" ونعني كل من أوستين و "سيرل" الذين قاما بتقديم أبحاث حول مفهوم الأفعال اللغوية وقد قام ديكرو بتطويرها، فكانت نظرية السلم

[1] ينظر: خلية البحث التربوي، مصدر سبق ذكره، ص53. ص54.

الحجاجي قائمة في مباحثه إذ تمكننا من تحديد قيمة القول الحجاجية ثم انتقل الى موضوع الروابط والعوامل الحجاجية ومدى ارتباطها بالمبادئ الحجاجية فأعطى أمثلة عنها.

كما وضع جانبا للحديث عن الاستعارة والحجاج فهدف الى مقاربة الاستعارة من منظور الحجاج.

أما طه عبد الرحمن، فلقد تميزت نظرته للحجاج بطابع فلسفي لأنه يستند إلى المنطق فقد قارب بين القديم العربي والحديث الغربي

كما عرف الحجاج انطلاقا من مبدأين أساسين هما "قصد الادعاء" و "قصد الاعتراض" إذ يقول: "إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها.[1]

كما بحث في أنواع الحجاج وأصنافه وركز على السلم الحجاجي بوصفه عمدة في الحجاج ودرس الاستعارة من وجهة نظر حجاجية.

أما محمد العمري فقد نظر للحجاج بطابع اقناعي متأثرا بالفلاسفة اليونانيون ونجده واضحا في كتابه "في بلاغة الخطاب الاقناعي" إذ يقول "لقد حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة لإهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة.[2]

وقد اعتمد أيضا على الدعائم الأرسطية لبلاغة الخطاب والذي يربطها أيضا بالاقناع فيقول: "وبدأ الحنين من جديد إلى "ريطورية" أرسطو التي تتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال".[3]

---

[1] طه عبد ارحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي المركز الثقافي العربي، ط1، 1998 ص226

[2] محمد العميري، في البلاغة، الخطاب الاقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء ط1،1986 ص9

[3] محمد العميري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء ط1،1986 ص10

فبلاغة الخطاب أصبحت لها دورا فعالا ومهما في التأثير في أحوال الناس فقد ركز على المقام في الخطابة السياسية إذ يكثر فيها النصح والمشاورات والخطابة الاجتماعية، فهي تتناول العلاقة بين الناس وتنظم المجتمع وخطب ذات طبيعة وجدانية هدفها المشاركة في المسرات والأحزان...."[1]

[1] ينظر: محمد العميري، في بلاغة الخطاب الاقناعي ص59

الفصل الثاني: الحجاج في الدرس الألسني

المبحث الأول: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية.

المطلب الأول: الروابط الحجاجية:

الرابط الحجاجي هو الذي يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة، فقد أولى ديكرو اهتماما كبيرا بالروابط في إطار ما تحمله من دلالات حجاجية، خاصة بالتداول لأنها تصل المقدمات بالنتائج[1]، فنجد أنها صارت ذات بعد حجاجي، وأثر في اتساق وانسجام النص، وهي تعمل على الربط بين حجتين أو أكثر بغية الوصول إلى نتيجة.

1- روابط التعارض: من أبرزها " بل" و " لكن"، وفي هذا النوع من الترابط يحاول المتكلم نفي الكلام أو إثبات غيره، فيقدم حجتين: الحجة الأولى تخدم نتيجة (ب) والحجة الثانية تخدم نتيجة مضادة (لا – ن)، وتكون الحجة الثانية هي الأقوى لأنها توجه الخطاب نحو (لا – ن).

2- الروابط المدرجة للحجج: أبرز هذه الروابط لأن و لام التعليل، فهي من الروابط التي يستعملها المرسل بكثرة لتركيب خطابه الحجاجي.

الرابط الحجاجي: لأن: يندرج هذا الرابط ضمن روابط التعليل، وبعد من أهمها فقد .....أن المرسل خطاب الحجاجي بها، وتستعمل لتبرير الفاعل مثلا " نجحت التلميذة لأنها اجتهدت" الرابط لأن النتيجة نجحت (تبرير النجاح بالاجتهاد).

المطلب الثاني: العوامل الحجاجية:

رأينا في السابق أن الروابط تقوم بالربط بين ملفوظين، أمات العوامل فتقوم بتنفيذ العناصر الحجاجية في الملفوظ وهي تشمل أدوات الحصر والقصر مثل: أنما – ما – إلا.

فهي من الأدوات التي تجعل الخطاب منسجما يقود المتلقي إلى وجهته التي يريدها، حيث تكمن فعاليتها في إبراز القواعد الكامنة في الخطاب.

[1]- مدني كاضم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق كل السور المكية، منشورات .....،ط1، لبنان، 2015م، ص69.

– العامل مـا.....إلا: هي أداة من أدوات الحصر، ويستعان بعاملية الحصر للسد من أزر الملفوظ، وتحديد النتيجة المقصودة منه، وبالتالي يكون الجمهور أمام نتيجة واحدة[1].

[11]– عزالدين ناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، ط1، تونس، 2011، ص47.

المبحث الثاني: العلاقات الحجاجية.

المطلب الأول: الخطاب الحجاجي بين المرسل والمرسل إليه.

يحدد مابين العلاقات الحجاجية ضمن نظرية في عناصر رئيسية، استقاها من التصور الأرسطي وهي الإيتوس (الأخلاق أو الصفات المرتبطة بالمتكلم أو المخاطب، أو عنصر العلاقة الثنائية التي تجمع بين المتكلم والمستمع، ويحددها اللوغوست أي الخطاب أو اللغة، أو العمليات الاستدلالية العقلانية داخل الخطاب، وتتضافر هذه العناصر في العملية الحجاجية لإثارة السؤال، وإذكاء المساءلة، وتكثيفها حسب مقاصد المقام والسياق.

ومن أهم العلاقات الحجاجية نجد:

1- **العلاقة السببية:** وتقوم هذه العلاقة السببية على ربط علاقة بين حجية ونتيجة، ربط يجعل الحجة سبب للنتيجة، وفي هذا النوع من العلاقات يحرص الباحث على أن يجعل بعض الأحداث أسبابا لأحداث أخرى.

2- **علاقة التتابع:** هي علاقة تربط القول بما يتبعه، وتسمح بإطراد الحديث في شكل سلسلة كلامية مترابطة الأجزاء، مما يؤهل هذه العلاقة إلى اكتساب طاقة حجاجية كبيرة.

3- **علاقة الاقتصاء :** هي علاقة تربط بين الحجة بالنتيجة، إلا أنها علاقة أقوى إذ تجعل الحجة تقتضي تلك النتيجة اقتضاء[1] .

[1] عزالدين ناجح، نفس المصدر السابق، ص48.

المبحث الثالث: السلام الحجاجي.

المطلب الأول: نظرية السلالم الحجاجية.

جاء ديكرو بنظرية السلالم الحجاجية ضمن نظرية الحجاج اللغوي التي كانت محط اهتمام الكثير من الدارسين العرب، فقد أشار ديكرو إلى أن الحجج تتابع في الخطاب الحجاجي وترتب حسب قوتها، فالمخاطب أثناء التواصل يقدم حججا تنتمي إلى فئة حجاجية معينة، ويدرجها وفق ترتيب تتحكم فيه معطيات تبعا بقوتها، من الحجة الضعيفة إلى القوية إلى الأقوى.

" السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي[1]:

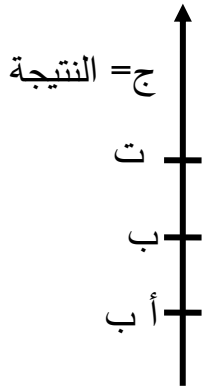

– أ، ب، ت، حجج وأدلة تخدم النتيجة " ج".

يتسم السلم الحجاجي بالسيمتين التاليتين:

– أ– كل قول يرد في درجة من السلم، يكون القول الثاني يعلوه دليلا أقوى بالنسبة للنتيجة "ج".

– ب– إذا كان الملفوظ " أ" يؤدي إلى النتيجة "ج"، فهنا يستلزم أن "ب"و"ت" الذي يعلوه درجة يؤدي إليه.

[1] – نقلا عن الحجاج، مفهومه ومجالاته، ج1، les échelles argumentatives, p : 58.

مثال:

حصلت زينب على البكالوريا

حصلت زينب على مكافأة

حصلت زينب على الدكتوراه

فهذه الجملة تتضمن حجاج تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، وتنمتمي إلى السلم الحجاجي نفسه، وكلها تؤدي إلى نتيجة واحدة.

المطلب الثاني: قوانين السلم الحجاجي.

للسلم الحجاجي قوانين وهي: قانون النفي، والقلب، والتخفض.

1-**قانون النفي:** يعني أنه استعمل المتكلم قولا ليخدم نتيجة معينة، فإن نفي هذا القول سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة.

مثال: أمينة مثابرة، لقد تفوقت في الاختبار، أمينة ليست مثابرة، لم تتفوق في الاختبار.

فإذا تم قبول الحجاج الوارد في المثال الأول وجب القبول بالحجاج الوارد في المثال الثاني[1].

2- **قانون الخفض:** ومعناه أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها، فقانونه أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم، إذ لا يمكن أن تكون الأقوال المثبتة والأقوال المنفية في نفس السلم الحجاجي.

[1]- حافظ اسماعيل علوي، الحجاج، مفهومه ومجالاته

❖ **التقنيات الحجاجية:** لقد ألف بيرلمان وتيتكاه كتابهما مصنف في الحجاج، فتحدثا فيه عن مختلف التقنيات الحجاجية، فقسموها إلى ما يسمى بالخطاطات الحجاجية إلى.....كبيرين.

أ- **طريق الوصل أو الاتصال:** وهي تلك الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة بدء، وفي الأصل وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها، أي إبرازها في هيكل أو بنية واضحة، أو لغاية تقوم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما ايجابيا، أو سلبيا[1]، ويتخذ هذا التصال ثلاث مظاهر وهي:

1- الحجج الشبه منطقية: تعد هذه الآلية مهمة، فهي يستند عليها الخطاب في عملية المحاجة، فهي قريبة من التدليلات الصورية، لكنها تختلف عنها من حيث أنها غير ملزمة، وتفتح إمكانية النقاش بين المتحاورين، وتنقسم الحجج الشبه المنطقية إلى حجج شبه منطقية تعتمد على البنى المنطقية، وحجج شبه منطقية تعتمد على العلاقات الرياضية.

الحجج الشبه منطقية تعتمد البنى المنطقية:

- التناقض وعدم الاتفاق: ويقصد بها أن تكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين احداهما نفي الآخر، ونقض لها[2].

وقد وضح عبد صولة مبدأ التعارض بمثال طرحه على أصدقائه فقال: " لماذا يكون السقوط من على ظهر الحمار أكثر إيلاما للمرء من سقوطه من على ظهر الجمل رغم أن الجمل أعلى ظهر؟ فأجاب أحد الأساتذة معللا: ربما لكون الساقط من على ظهر الجمل وهو ساقط يجد الفرصة ليتهيأ للسقوط، أما الساقط من ظهر الحمار لا يجد تلك الفرصة، فقال آخر أطروحة معارضة لما قاله هذا الأستاذ، فقياسا على كلامك يكون

[1]- علي شعبان، الحقيقة والحجاج وأفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، طرابلس، 2010، ص132.

[2] - *fraité de lacigumentation, la nouvelle rhétouque, p270.*

الساقط من أعلى بناية في تونس أكثر أملا في النجاة من الواثب في حوض السباحة[1].

ولعل هذا المثال الذي قدمه عبدالله صولة يبرز لنا معنى مبدأ التعارض شبه المنطقي بين القضايا المطروحة للنقاش، ويمكن التمثيل بالمخطط التالي:

مقدمة كبرى: السقوط من على ظهر الجمل أقل ضررا من السقوط من على ظهر الحمار.

مقدمة صغرى: السقوط من أعلى بناية في تونس أقل ضررا من الواثب في المسبح.

النتيجة: السقوط من أعالي الأشياء أقل ضررا من السقوط ‘لى أقربها من الأرض.

❖ **التماثل والحد في الحجاج:** إن التعريف والحد من التقنيات المهمة في الحجاج، فهو يستعمل في التصنيف والاستقراء والتمييز بين المفاهيم المطروحة على المتلقي، ويمكن التمييز بين أربعة أنواع من التعريفات منها ما هو شامل، ومنها ماهو جزئي[2].

- تعريف معياري تحكمه القاعدة وعموما.
- تعريف معياري وصفي يرتبط بسياق خاص.
- تعريف معياري مكثف أو تكثيف، يؤثر على العناصر الأساسية في المعرف.
- تعريف معياري مركب يجمع بين هذه العناصر الثلاث.

❖ **الحجج القائمة على العلاقات التبادلية أو قاعدة العدل:**

[1]- عبدالله صولة، في نظريات الحجاج، دراسة وتطبيقات، ص43.

[2] *Traité de l’argumentation, la nouvelle rhétorique, p294.*

تعالج الحج القائمة على العلاقات التبادلية وضعيتين أو قضيتين، أو ملفوظين معالجة واحدة بسبب علاقة التماثل، التشابه المضمرة بينهما، وهذه العلاقة تؤدي إلى تطبيق قاعدة العدل بينهما في معالجة الملفوظات المندرجة ضمن مقولة واحدة.

❖ **الحجج الشبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:** ومن بين هذه الحجج نجد:

1-**حجة التعدية:** وأساسها المعادلة الرياضية الصورية شبه المنطقية التي تسمح لنا بالمرور من العلاقة بين أ و ب وبين "ب" و"ج" إلى استنتاج وجود علاقة ضرورية بين "أ" و" ج"، وهذا إجراء استدلالي مبني على مبدأ التعدية.

القضية1: أ=ب

القضية2: ب=ج

النتيجة: أ=ج.

- **حجة إدماج الجزء في الكل:** تنطلق هذه الحجة من قاعدة مفادها ما ينطبق على الكل ينطبق بالضرورة على الجزء[1]، فكل ما ينطبق على الكل من قضايا وأوصاف، فهو ينطبق على أجزائه المكونة له.
- **حجة تقسيم الكل إلى أجزائه:** وهو تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، وبيان أن الأحكام التي تنطبق على الجزء تنطبق تبعا لتلك كل الكلام[2]، فهي تسعى إلى تعميم قاعدة تقوي حضور الكل من خلال الحديث عن أقسامه لأجزائه المكونة له.

2- **الحجج المؤسسة على بنية الواقع:** فهي تسعى إلى الربط بين الأحكام باعتبارها مسلما به لا مجال للشك، فيتم ذلك عن طريق إدماج الثانية التي يسعى

[1] – *Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, p311.*

[2] – سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص 207.

الخطاب إلى تمكينها في البنية الأولى الأصلية، فيقول بيرلمان في هذا السياق " بمجرد ما يتم الجمع بين عناصر من الواقع في علاقة نعترف، ليصبح من الممكن أن بؤس حجاجا يسمح بالمرور مما هو مقبول، إلى ما تسعى لجعله مقبولا".

إذن فهذه الحجة تعتمد على التجربة، وعلى العلاقة القائمة بين ما هو واقع، وبين ما هو محتمل.

أ- علاقات التتابع أو وجوه الاتصال التتابعي: ومن أنواعه:

- حجج الوصل السببي: إن هذا النوع من الحجاج يرمي إلى المرور في اتجاهين من السبب إلى النتيجة، ومن النتيجة إلى السبب عن طريق رابط سببي يصل الأسباب بالنتائج.

الفصل الثالث: الحجاج في تفسير البيضاوي

تمهيد: حياة الإمام البيضاوي

اسمه ونسبه وكنيته:

هو: عبد الله بن عمر بن علي القاضي ناصر الدين البيضاوي الشيرازي الشافعي هكذا نَسبَهَ من ترجم له، وكذلك ذكر نسبه في مقدمة" الغاية القصوى"، وهو فقيه شافعي المذهب أشعري المعتقد، مفسر نحوي وأصولي متكلم، يكنّى بأبي سعيد وأبي محمد وأبي الخير.

لقبه:

لقب البيضاوي نسبة إلى "البيضاء" التي و لُد بها وهي إحدى المدن المشهورة بفارس، ولقب بالشيرازي نسبة إلى مدينة"شيراز" التي نشأ بها وتولى فيها منصب قاضي القضاة. والتبريزي نسبة إلى"تبريز" حيث توفي بها، وبالشافعي لأنه على مذهب الشافعي –رحمه الله– حيث قابل الأحكام الشرعية بالاحترام: وأما لقبه بناصر الدين فكما ذكر ابن العماد: "حيث قابل الأحكام الشرعية بالاحترام والاحتراز".

مولده:

ولد القاضي ناصر الدين البيضاوي –رحمه الله– في مدينة"البيضاء"بفارس قرب شيراز إلاّ أن مصادر ترجمته التي بين أيدينا لم تذكر لنا تاريخ ميلاده.

نشأته:

و لُد القاضي ناصر الدين في البيضاء، ونشأ بها أول حياته مع أسرته ثم رحل إلى شيراز، وكانت في ذلك الوقت عاصمة بلاد فارس وحاكمها الأتابك أبو بكر بن سعد بن زنكي، الذي حكمها من سنة (623هـ) إلى سنة (658 هـ) والذي حفظ بلاده من ويلات الحروب حين صالح المغول والتتر وأرسل إليهم بالهدايا ودخل في طاعتهم فلم يتعرضوا لبلاده بسوء، فكانت شيراز ملجأ العلماء

من جميع أقطار العالم الإسلامي طلباً للأمان والرخاء والاستقرار والرزق فارين إليها من أثر الحروب على البلاد الإسلامية من المغول[1].

وكان لوالده منزلة عند الأتابك أبو بكر بن سعد فولاه منصب قاضي قضاة شيراز، كما تولى جده محمد من قبل قاضي القضاة.

فنشأ في أسرة ذات علم ودين وفضل ومنصب ونشأ في شيراز حيث تلقى فيها العلوم والمعارف عن والده في أول الأمر وتفقه على يديه، وأخذ في تعلم الكثير من العلوم في أصول الدين وأصول الفقه، والتفسير والعربية والأدب والتاريخ وفي علم الكلام والمنطق والفلسفة، حتى برع في كثير من العلوم والفنون في مختلف المجالات العلمية.

والبيضاوي لم يقتصر في تعليمه على والده فقط بل أخذ العلم عن كثير من علماء عصره لا سيمّا وشيراز كانت ملجأ العلماء والأدباء من جميع أقطار العالم الإسلامي، فتلقى العلم مبكّراً حتى برع فيه وألّف في جميع فنون العلم وعاش في شيراز حتى تولى منصب القضاء فيها.

شيوخه:

تلقىّ البيضاوي علومه الأولية على يد والده، ولا شك أنه لم يقتصر على والده بل تلقى العلم عن علماء بلده شيراز حيث كانت في عصره محط أنظار العلماء واجتمع بها كثير منهم، فنهل البيضاوي من منهل هؤلاء العلماء وتتلمذ على أيديهم، وأول شيوخه هو والده.

1- والده:

هو أبو القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي البيضاوي.

---

[1]- أنظر: يوسف الحزيمري، الإمام ناصر الدين البيضاوي (000 – 685 هـ = 000 – 1286 م)، مركز أبي حسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، 1444هـ- 2022م موقع https://www.arrabita.ma/achaari/

مقتدى عصره وواحد دهره كان إماماً مستبحراً جمع بين العلم والتقوى وتقلّد القضاء بشيراز سنين عديدة ودرسّ وأسمع وحدثّ وروى عن شيخه عبد الرحيم بن عبد الرحمن السجستاني توفي في ربيع سنة خمس وسبعين وستمائة ودفن بالضفة الجنوبية من المدرسة الغربية بالسوق الكبير.

وقد ذكر البيضاوي أنه أخذ الفقه عن والده فقال: "اعلم أني أخذت الفقه عن والدي مولى الموالي الصدر العالي ولي الله الوالي قدوة الخلف وبقية السلف إمام الملة والدين أبو القاسم عمر قدسّ الله روحه وهو عن والده قاضي القضاة السعيد فخر الدين: محمد بن الإمام الماضي صدر الدين: أبي الحسن علي البيضاوي قدس الله أرواحهم".

2- عمر البوشكاني:

هو شرف الدين عمر الزكي البوشكاني أستاذ العلماء وملجأ الأكابر في عهده وجامع أقسام العلوم بين المعقول والمنقول، تتلمذ عليه الكثير ومنهم ناصر الدين البيضاوي، وكان عين تلامذته، توفي سنة (680 هـ) ودفن بالضفة الجنوبية من تلك المدرسة ورثاه ناصر الدين بقصيدة طويلة.

3- الشيخ محمد الكتحتائي:

هو العارف الأوحد خواجة محمد بن محمد الكتحتائي، و هذا الشيخ قد استشفع به ناصر الدين البيضاوي في طلبه لقضاء شيراز، فقال حاجي خليفة: "فلما أتاه على عادته قال إن هذا الرجل عالم فاضل يريد الاشتراك مع الأمير في السعير يعني أنه يطلب منكم مقدار سجادة في النار وهي مجلس الحكم فتأثر الإمام البيضاوي من كلامه وترك المناصب الدنيوية، ولازم شيخه إلى أن مات، وصنّف التفسير بإشارة من شيخه، ولما مات دفن عند قبره".[1]

[1]- يوسف الحزيمري، الإمام ناصر الدين البيضاوي (000 – 685 هـ = 000 – 1286 م، مرجع سبق ذكره.

تلاميذه:

قضى البيضاوي حياته بالتدريس والتأليف شأنه شأن العلماء في إلقاء الدروس على طلبة العلم من شتى الأقطار، لا سيما وشيراز كانت مركز الثقافات والعلوم المتنوعة وأخذ عنه العلم تلاميذه الذين اهتموا بكتبه ونشر علمه من بعده ومن هؤلاء التلاميذ:

1- فخر الدين الجاربردي:

هو فخر الدين أحمد بن الحسن بن يوسف، الإمام الجاربردي الشافعي نزيل تبريز أحد شيوخ العلم المشهورين، أخذ عن القاضي ناصر الدين البيضاوي وشرح منهاجه، والحاوي الصغير ولم يكمله، وله على «الكشاف» حواشي مفيدة، وشرح « تصريف ابن الحاجب » قال ابن السبكي:كان إماماً فاضلاً دينّاً وقوراً مواظباً على الاشتغال بالعلم وجده يوسف أحد شيوخ العلم المشهورين.

توفي الجاربردي في تبريز في شهر رمضان سنة (736 هـ).

2- زين الدين الهنكي:

ذكره ابن السبكي في ترجمته لعضد الدين الإيجي قال:"إنه اشتغل على الشيخ تاج الدين الهنكي تلميذ القاضي ناصر الدين البيضاوي".

3- جمال الدين الكسائي:

هو جمال الدين محمد بن أبي بكر بن محمد ... كان من علماء المشايخ بشيراز تتلمذ على القاضي إمام الدين البيضاوي... وله تصانيف فائقة منها كتاب "نور الهدى في شرح مصابيح"و"سير القرائح في الأحاجي" و "النجم في الأصول" وكتاب "الدجى" وغيرها، كان يعظ الناس ويدعوهم إلى الله سنين، ومرقده خلف درب كازرون في رباط.

4- روح الدين الطيار:

هو الشيخ روح الدين ابن الشيخ جلال الدين الطيار تلقىّ العلم على البيضاوي وشرح كتابه « المصابيح » شرحاً وافياً وصنّف كتاباً في الكلام، توفي سنة نيف وتسعمائة ودفن بجوار والده الشيخ جلال الدين –رحمة الله عليهم أجمعين[1].

5- المراغي:

هو عمر ابن الياس ابن يونس المراغي ، ولد بأذربيجان سنة (٦٤٣ هـ) أقام بمصر خمس عشره سنة، وذكر ابن حجر عن شيخه البدر النابلسي أن المراغي سمع على القاضي ناصر الدين البيضاوي المنهاج والغاية القصوى والطوالع.

مؤلفاته:

تعددت مؤلفات البيضاوي، وتنوعت شأنه في ذلك شأن كثير من العلماء الذين لايقتصرون على علم واحد، والناظر إلى مؤلفات البيضاوي يجد هذا واضحاً من مصنفاته المختلفة في مجالات العلوم فألف في أصول الدين، وأصول الفقه، وفي الفقه والتفسير، والحديث، والعربية، والتاريخ وغيرها.

فصنف في أصول الدين كتاب"طوالع الأنوار من مطالع الأنظار" قال عنه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى:"أنه أجل مختصر في علم الكلام"، وقد اعتنى به العلماء كثيرا وشرحوه شروحا عديدة.

وكتاب « الطوالع » رتبه مصنفه على مقدمة وثلاثة كتب والمقدمة تتعلق بمباحث النظر

وفيها أربعة فصول:

- في المبادئ.

[1]- يوسف الحزيمري، الإمام ناصر الدين البيضاوي (000 – 685 هـ = 000 – 1286 م، مرجع سبق ذكره.

- في الأقوال والشروح.
- في الحجج.
- في أحكام النظر.

والكتاب الأول في الممكنات ويشمل ثلاثة أبواب هي:

- في الأمور الكلية.
- في الأعراض.
- في الجواهر.

والكتاب الثاني في الإلهيات ويشمل ثلاثة أبواب هي:

- في ذات الله –تعالى–.
- صفاته –تعالى–.
- في أفعاله –تعالى–.

والكتاب الثالث في النبوات ويشمل ثلاثة أبواب هي:

- في النبوة.
- في الحشر والجزاء.
- في الإمامة.

ووضع لهذا الكتاب مختصرا سماه مصباح الأرواح وهو مطبوع.

كما صنّف: مختصر الكشاف، المنهاج في الأصول؛ شرحه أيضا، شرح مختصر ابن الحاجب في الأصول، شرح المنتخب في الأصول للإمام فخر الدين، شرح المطالع في المنطق، الإيضاح في أصول الدين، الغاية القصوى في الفقه، شرح الكافية لابن الحاجب، وغير ذلك.

وفاته:

أجمعت كتب التراجم التي ترجمت له أن وفاته بمدينة تبريز حيث قضى الجزء الأخير من حياته بها.

وذكر حاجي خليفة: أنه دفن عند قبر شيخه محمد الكتحتائي.

وقال ابن كثير:أن القاضي ناصر الدين أوصى إلى القطب الشيرازي أن يدفن بتبريز.

إلاّ أن مصادر ترجمته قد اختلفت في تاريخ وفاته إلى عدة تواريخ أرجحها أن وفاته كانت سنة (685هـ) وهي أرجح الروايات ذكرها الصفدي في كتابه" الوافي بالوفيات"واعتمدها ومشى عليها أكثر المؤرخين وأصحاب التراجم[1].

[1]– يوسف الحزيمري، الإمام ناصر الدين البيضاوي (000 – 685 هـ = 000 – 1286 م، مرجع سبق ذكره.

المبحث الأول: تقديم تفسير البيضاوي

مقدمة التفسير:

يقول الإمام البيضاوي في مقدمة تفسيره شارحاً طريقته، موضحاً مصادره:

«الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا، وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسوا أنهم سحروا تسحيرا، ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته، وليتذكر أولو الألباب تذكيرا، فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا، وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق، ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا، ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها، ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا، فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فهو في الدارين حميد وسعيد، ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه، يعش ذميماً ويصل سعيرا فيا واجب الوجود، ويا فائض الجود، ويا غاية كل مقصود، صل عليه صلاة توازي غناءه، وتجازي عناءه، وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا، وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم، وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا.

وبعد، فإن أعظم العلوم مقداراً وأرفعها شرفاً ومناراً، علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها.

ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتاباً يحتوي على صفوة مما بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين، ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكت بارعة، ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين، وأماثل المحققين، ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزوة إلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المروية

عن القراء المعتبرين. إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام، ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته، والإتيان بما قصدته، ناوياً أن أسميه بعد أن أتممه «بأنوار التنزيل وأسرار التأويل».

فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه، أقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسؤول.»

خاتمة التفسير:

قال الإمام البيضاوي في نهاية الكتاب: «وقد اتفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فرائد فوائد ذوي الألباب، المشتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة وصفوة آراء أعلام الأمة، في تفسير القرآن وتحقيق معانيه، والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه، مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، والتلخيص العاري عن الإضلال، الموسوم بـ "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" وأسأل الله تعالى أن يتمم نفعه للطلاب ولا يخلي سعي من يتعب فيه من الأجر والثواب، ويختم كل خاتمة امرئ يؤمه بتمحيص عن الآثام ويبلغني أعلى منازل دار السلام، في جوار العليين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا وهو سبحانه حقيق بأن يحقق رجاء الراجين تحقيقا، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وأتباعهم أجمعين.».

المطلب الأول: سبب تأليف البيضاوي لتفسيره.

لقد برع البيضاوي في الحديث والمنطق وغاص في العربية والبلاغة ففقه الفقه وأصوله فكان ذا منصب كبير في الدّولة وهو منصب القاضي ثم قاضي القضاة في شيراز وما أن ترك القضاة والمناصب الدنيوية حتى لازم شيخه محمد الكتحتائي ويبدو أنه كان سببا في تأليف البيضاوي لهذا التفسير فقد جاء في كشف الظنون أنّه قد ألّف تفسيره أنوار الترتيل في أسرار التأويل بإشارة من شيخه محمد الكتحتائي[1].

[1]– أنظر، كشف الظنون، 187/1.

حتّى أنّه صرّح البيضاوي رحمة الله عليه سبب تصنيفه لهذا التفسير بقوله: خطة الكتاب وبعد فإنّ أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنار علم التفسير، الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها، أصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها، ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكت بارعة، ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومن قبلي....

فبعد قراءة كلام البيضاوي نجد أن الأسباب التي دفعته لتصنيف تفسيره ما يلي:

1- شرف علوم التفسير ومكانته بين العلوم الدينية، لأنّ هذا العلم كما قال هو رأس العلوم الدينية فالأحكام الشرعية مبنية على معرفة وفهم المراد من كتاب الله عزّ وجلّ

2- ماتوفّر لديه من العلوم المختلفة التي تؤهّله للضفر في كتاب الله واستنباط النكات واللطائف الرائعة.

3-عدم توفّر تفسير مختصر يجمع أقوال العلماء والصالحين يبتعد عن التطويل وذكر الروايات المتعددة وأسباب النزول كما هو الحال في كتب التفسير المأثور نجد ذلك في قوله: ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين، فهذا دفعه لتأليف هذا الكتاب المختصر الذي رأى الحاجة الماسة إليه.

المطلب الثاني: مصادر تفسير البيضاوي.

لقد اعتمد البيضاوي في تفسيره على عدّة مصادر نجد منها:

أولا: من القرآن الكريم:

لقد اعتمد البيضاوي في تفسيراته على القرآن الكريم ففسّر القرآن بالقرآن بطرق مختلفة فالقرآن الكريم من أحسن الطرق في التفسير إذ يقول بدر الدين الزركشي في البرهان: أحسن طريق

التفسير أن يفسّر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان قد فصّل في موضع آخر وما أختصر في مكان فإنّه قد بسّط في آخر فإن أعياك في ذلك فعليك بالسنّة فإنّها شارحة للقرآن وموضّحة له قال تعالى:(وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) النحل: 64.[1]

لذلك قام البيضاوي بجمع ما تكرر من القرآن في موضوع واحد وقابل الآيات بعضها ببعض فاستعان بما جاء مسهبا على معرفة ما جاء موجزا، ولما جاء مبينا على فهم ما جاء مجملا فقد فسر القرآن بالقرآن.

فنجده يفسر الآية ويبين المراد منها على ما ظهر من معناها اللغوي ويؤيد تفسيره بآية أخرى تعضد ما ذهب إليه[2]. ومثال ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ البقرة: 45، قال كبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى:﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ﴾ الشورى:13.

ومن الأمثلة التي تدلّ على اعتناءه على القرآن الكريم ليوضّح معنى لغوي لآية أخرى هو تفسيره لقوله تعالى: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾ الفاتحة 2: قال الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية وهي التبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا، ثمّ وصف به للمبالغة، كالعوم والعدل، وقيل هو نعت من ربه يريه، فهو رب كقولك: لم ينم فهو، نم، ثمّ سمّى بها المالك لأنه يحفظ ما يملكه، ويريه، ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيدا كقوله: ﴿ارجع إلى ربّك﴾ يوسف: 50[3].

[1] البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي 2.75.178، المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتاب العربية، الطبعة الأولى 1376هـ-1957م

[2] الاستنباط عند القاضي البيضاوي ن خلال تفسيره أنوار التنزيل من أسرار التأويل، يوسف السلمي ص48، رسالة الدكتوراة.

[3] تفسير البيضاوي/12/1

ثانيا: من السنة النبوية.

من مصادره السنة النبوية، فهو يورد الحديث صحيحه وحسنه ومعلوله، وقد أورد الأحاديث لأغراض منها:

1- أن يورد الحديث لبيان ما تدلّ عليه الآية: مثال قوله تعالى: ﴿والصلاة الوسطى﴾ البقرة 228، أي الوسطى بينها أو الفضلى منها خصوصا وهي الصلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نار[1].

2- أن يورد الحديث لتسهيل فهم الآية: مثال قوله تعالى: ﴿وإني أعيدها بك﴾. آل عمران39، أجرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم، المطرود وأصل الرجم الرمي بالحجارة، وعن النبي صلى الله عليه وسلم "ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه إلا مريم وابنها[2].

3- أن يذكر الحديث ليناسب نزول الآية: مثال قال البيضاوي قوله تعالى: ﴿ إنّ الحسنات يذهبن السيئات﴾. هود 114. وفي سبب النزول أن رجلا أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال إنّي قد أصبت من امرأة غير أني لم آتها فنزلت"[3].

4- أن يذكر الحديث للدلالة على فضل السورة: وهي من المآخذ عليه كما قرره أهل العلم، لأنّ بعض الأحاديث في فضائل السور يكثر فيها الضعف.

ثالثا: من أقوال الصحابة.

كما نعلم أنّ الصحابة هم أكثر الناس لفهم كتاب الله بعد النبي صلى الله عليه وسلّم، فقد استدلّ البيضاوي بأقوالهم في إثبات تفسيره من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وأحسنوا، إنّ الله يحبّ المحسنين﴾ البقرة 195. قال البيضاوي: "وأنفقوا في سبيل الله" ولا تمسكوا كلّ الإمساك. (ولا تلقوا بأيديكم إلى

[1] تفسير البيضوي 206/1

[2] تفسير البيضوي 1/ 257

[3] تفسير البيضاوي: 152/2

التهلكة) بالإسراف والتضييع وجه المعاكس أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه فإنّ ذلك يقوي العدوّ ويسلطهم على أهلاكهم.

رابعا: من كتب الفقهاء.

كان البيضاوي في نقله للأحكام الفقهية يعتمد على فقه الشافعية والحنفية ولا يذكر سواهما إلا قليلا، ومن أمثلة نقله من كتب الفقهاء ما جاء في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ففهَّمْناها سليمانَ، وكلاًّ آتينا حُكماً وعِلماً، وسخَّرْنا مع داودَ الجبالَ يسبِّحْن والطيرَ وكنّا فاعلين﴾ الأنبياء 78–79.

قال البيضاوي: روي أن داوود حكم بالغنم لصاحب الحرث، فقال سليمان. وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا، أرفق بهما، فأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها، والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود إلى ما كان، ثمّ يترادّان، ولعلهما قال اجتهاد.

فمصادره من فقه المالكية ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ النحل 14، قال البيضاوي تمسك به مالك والثوري على أن من حلف ألا يأكل كما حثت بأكل السمك، وأجيب عنه بأن مبنى الإيمان على العرف، وهو لا يفهم منه عند الإطلاق، ألا يرى بأن الله سمّى الكافر دابة، ولا يحنث الحالف على أن لا يركب دابة بركوبه.

المطلب الثالث: منهج البيضاوي في التفسير

بنى البيضاوي رحمه الله تفسيره على منهج صرح بجزء منه في مقدمة كتابه، إذ يقول: ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة مما بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين، ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكت

بارعة ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين، وأمثال المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزوة إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين في مقدمته جاء على ذكر بعض ملامح منهجه، وسنحاول ترتيبها في نقاط وتمثيل على كلّ نقطة من هذه النقاط مقسما منهجه في التفسير إلى قسمين: (منهجه العام، ومنهجه البلاغي).

1-منهجه العام:

يسير البيضاوي في تفسيره على طريقة معينة يلتزمها في أكثر في تفسيره ومنها:

1-معلومات السورة: يفتح البيضاوي رحمه الله تفسيره للسورة بذكر كونها مكية أو مدنية وعدد آياتها ويذكر أسماء أخرى للسورة إن وجد.

– من أمثلة إيراده لمعلومات السورة قوله في مقدمة سورة الأعراف: مكية غير ثمان آيات من قوله: "وسئلهم" الأعراف 163 إلى قوله "وإذ انتقنا الجبل" الأعراف ،171 محكمة كلها

وقيل إلا قوله تعالى "وأعرض عن الجاهلين" الأعراف ،199 وآياتها مائتان وخمس أو ست آيات[1].

2-سبب النزول:

سبب النزول من علوم القرآن التي لاغنى لأي مفسر عنه، إذ أنه في كثير من الأحيان الركيزة الأساسية في فهم المعنى للآية فهما دقيقا.

لذلك لم يهمل البيضاوي ذكر أسباب النزول، فمن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هود 114. قال

[1]تفسير البيضاوي 1.533

البيضاوي: وفي سبب النزول أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني قد أصبت امرأة غير أني لم آتها فنزلت"[1]

3-الجمع بين التفسير بالرواية والدراية:

فالبيضاوي لا يعتمد في تفسيره على ذكر الروايات والأقوال فقط ولكنه يجتهد في بيان المعاني الفقهية المستنبطة من الآيات ومراميها البلاغية.

فإنه يذكر الروايات التي يبين بها معنى الآية، كما جاء في تفسيره لقوله تعالى: "يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه" البقرة 217، قال البيضاوي رحمه الله: عن ابن عباس رضي الله عنهما (لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهي أول غنيمة في الإسلام"[2]

4-أحاديث فضائل السور:

من منهج البيضاوي أنه يذكر في نهاية تفسير كلّ سورة حديثا في فضلها وقد عدّ هذا من المآخذ التي أخذت عليه لأنّ أكثرها أحاديث ضعيفة كما تقرر ذلك سابقا.

إذ نجد في نهاية سورة المائدة حيث يقول البيضاوي رحمه الله: عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كلّ يهودي ونصراني يتنفّس في الدّنيا.[3]

5-المسائل الفقهية: لقد تعرّض البيضاوي في تفسيره لبعض المسائل الفقهية خصوصا عند آيات الأحكام، إذ أنّه كان يذكر آراء العلماء فيها، لكنّه لا يتوسّع بل يذكرها بإيجاز دون إسهاب. إذ نرى في تفسير قوله تعالى: "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان" المائدة 19، قال البيضاوي رحمه الله: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) هو

[1] تفسير البيضاوي: 154/3

[2] تفسير البيضاوي 1.186

[3] تفسير البيضاوي: 476/1

ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل: لا والله، وبلى والله، وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه، وقيل الحلف على ما يظنّ أنّه كذلك، ولم يكن وإليه ذهب أبو الحنيفة رحمة الله عليه.

6-القراءات: اهتم البيضاوي بذكر القراءات المختلفة التي تجيء عليها الآية، وذكر صاحب هذه القراءة لكنّه لم يلتزم بالقراءات المتواترة فقط، بل ضمّ إليها الشاذة، كما نصّ على ذلك في مقدمته إذ يقول: "وبعرب -يعني تفسيره- عن وجوه القراءات المشهورة المعزوّة على الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين[1].

7-المعنى اللغوي للكلمة: من منهج الذي اتخذه البيضاوي أنه كان يوضح المعنى اللغوي للكلمة في أصل وضعها ليتضح معناها في سياق الآية مثلا: "إنّ الذين كفروا سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون" البقرة 06، قال البيضاوي: والإنطار: التخويف أريد به التخويف من عذاب الله.

8-الاستشهاد بالشعر لبيان معنى الكلمة: نجده في تفسير قوله تعالى:" أم حسبتم أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا" الكهف 9. قال البيضاوي رحمه الله، والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم، أو اسم قريتهم أو كلبهم. قال أمية بن أبي الصلت:

وليس بها إلا الرقيم مجاورا... وصيدهموا والقوم في الكهف هجدًا

9-الاستشهاد بأقوال اللغويين: "نجد في تفسير قوله تعالى:﴿الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة 2.

قال البيضاوي رحمة الله: ألم وسائر الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الإسم، واعتبار ما يخصّ به من التعريف والتنكير الجمع والتصغير ونحو ذلك عليها.

[1] تفسير البيضاوي: 1/ 605

2-منهجه البلاغي:

لقد اهتم البيضاوي في تفسيره بالناحية البلاغية واللغويّة وأهم ملامح هذا المنهج:

أ- اهتمامه بعلم المعاني والبيان أكثر ن البديع: لقد اهتمّ البيضاوي بعلمي المعاني والبيان أكثر من البديع فقد تعمّق في موضوعات علم المعاني من خبر وإنشاء وتعريف وتنكير وركز على علم البيان من مجاز وإستعارة وكناية.

ب- التعريفات الاصطلاحية البلاغية: فمن منهجه أنه يعرف بعض المصطلحات البلاغية فقد عرّف الكناية فقال: والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك الطويل النجا= للطويل وكثير الرماد للمضياف[1].

وعرّف الشبيه المركب حيث سماه بالشبيه المؤلف فقال: والظاهر أن التمثيلين من الجملة التمثيلات المؤلفة وهو أن يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامن أجزائه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى: "مثل الذين حمّلوا التوراةثمّ لم يحملوها" الجمعة 5[2].

وعرّف التمثيل المفرد فقال: ويمكن جعلها من قبيل التمثيل المفرد وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله تعالى: "وما يستوي الأعمى والبصير 19 ولا الظلمات ولا النور 20 ولا الظلّ ولا الحرور 21 فاطر 19-21[3]

ج- عدم التفصيل في تسمية الفن البلاغي:لم يكن البيضاوي يذكر الفن البلاغي بشكل مفصل بل كان يذكره بشكل عام مثلا يقول اشعاره ولا يظكر نوعها تصريحية أو مكنية.

[1] تفسيير البيضاوي:203/1

[2] تفسير البيضاوي 58/1

[3] تفسير البيضاوي 58/1

د- استشهاده بالشعر: استشهد البيضاوي بالشعر لدعم توجيهاته البلاغية على الالتفات في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ الفاتحة:2-5.

قال البيضاوي ومن عادة العرب التعنت في الكلام والعدول من أسلوب لآخر.

هـ- ربط الآية بلاغيا بآية أخرى: يعمد البيضاوي عند تقريره لمسألة بلاغية بربطها وتشبيهها بآية أخرى أكثر وضوحا.

و- ذكر الأغراض البلاغية للفن البلاغي: ل يكن البيضاوي يتوقف عن ذكر الفن البلاغي الموجود في الآية، بل كان يذكر غرضه البلاغي وفائدته المعنوية من ذلك تعليل الالتفات في قوله تعالى: "يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كلّ شيء قدير20 يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتقون21" البقرة 20-21. قال البيضاوي رحمه الله 'يا أيها النّاس اعبدوا ربّكم) لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهمطا ومصارف أمورهم. أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة.[1]

[1] تفسير البيضاوي: 59/1

المبحث الثاني: الأبعاد الحجاجية في تفسير الآيات للبيضاوي

وفي هذا الصدد نقوم بدراسة مختلف الآليات الحجاجية الموجودة في تفسير البيضاوي. فاتخذت من آيات العقيدة نموذجا للمقاربة آملين في الكشف عن الأنظمة الحجاجية التي تحكمت في الشق العام لتفسير البيضاوي:

المطلب الأول: حجاجية القول في وجود الله عند البيضاوي.

إذا أمعنا النظر في القرآن الكريم نجد ذلك الكم الهائل من الآيات القرآنية التي تدلّ على وجود الله سبحانه وتعالى فقد أولى البيضاوي أهمية في استخراج هذه الآيات وتفسيرها وشرحها للنّاس بأشلوب سهل لتقريب هذه المفاهيم وإثبات وجود الله فساق البيضاوي جملة من الحجج لدعم رؤاه العقدية.

أ- حجاجية القول في المعرفة الفطرية لله لدى البيضاوي: لقد عرّف البيضاوي الفطرة فقال:

"هو دليل مقتضاه أنّ النفس البشرية تحسّ إحساسا يقينيا بوجود الله سبحانه وتعالى، فهناك شعورداخلي في النفس البشرية يقول أن هناك قوة عظيمة خلقت هذا الكون ، وهذا الشعور موجود في كلّ نفس بشرية.

فقد تناول الإمام البيضاوي دليل الفطرة الذي يعكس وجود الله تعالى "فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون".[1]

فقد علّق البيضاوي على الآية قائلا:

فنحن نرى البشر يتخذون الطعوم والأمصال للتحصين من الأمراض، كذلك الحق سبحانه –وله المثل الأعلى– جعل هذا المصل التطعيمي في كلّ نفس بشريةحتى في التكوين المادي، ألا ترى في قوله تعالى في

[1] سورة الروم الآية 30

تكوين الإنسان: "يا أيها النّاس إن كنتم في ريب من البعث فإنّنا خلقناكم من تراب من نطفة ثمّ من علقة ثمّمن مضغة مخلقة وغير مخلقة"[1] فالمخلقة هي التي تكون في الأعضاء المخلقة فهي التي تمده بما يصلحه، كذلك في القيم جاء الدين الله فطرت التي فطرنا الناس عليها، فإذا تدخلت الأهواء وحدثت الغفلة جاءت المناعة، إما من الناس ذات النفس، وإما من المجتمع، وإما برسول أو منهج جدد وقد كرم الله أمة محمد بأن يكون رسولها خاتم الأنبياء والرسل.

وعند قراءتنا للآية نجد كلمة (فطرت) منصوبة ولم يتقدم عليها ما ينصبها فلماذا نصبت؟ الأسلوب هنا يريد أن يلفتك لسبب النصب والفعل المحذوف هنا لتبحث عنه بنفسك فكأنه قال: "فأقم وجهك للدّين حنيفا والزم فطرت الله التي فطر النّاس عليها لذلك يسمي علماء النحو هذا الأسلوب بأسلوب الإغراء... والفطرة تعني: الخلقة وفطرت الله تعني: الطبعية التي أودعها الله في تكوينك منذ خلق الله آدم وخلق منه ذريّته وأشهدهم على أنفسهم "ألست بربكم قالوا بلى..."[2] وسبق أن بينّا كيف أنّفي كل واحد منا، فالانسان لا ينشأ إلا من ؟؟؟؟ الذكري الحي الذي يخصب البويضة، وحين تسلسل هذه العملية لابدّ أن تصل بها إلى آدم عليه السلام وهذه الذرة الباقية هي التي شهدت العهد الأول الذي أخذه الله علينا، وإلا فالكفّار في الجاهلية الذي جاء رسول الله لهدايتهم كيف اعترفوا لله تعالى بالخلق: "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله". من أين عرفوا هذه الحقيقة؟ نقلت إليهم من العهد الأوّل، فمنذ هذا العهد لم يجرؤ أحد من الخلق أن يدّعي الخلق لنفسه فضلّت هذه القضيّة سليمة ف الأذهان...

[1] الأعراف الآية 172

[2] الزمر الآية 38

ومـــادام الله قـــد فطرنـــا علـــى هـــذه الفطـــرة، فـــلا تبـــديل لمـــا أراده ســـبحانه "لا تبـــديل لخلـــق الله.." يعنـــي مـــا إســـتطاع أحـــد أن يقـــول أنـــا خلقـــت والأرض، ولا أن يقول خلقتكم أو خلقت نفسي.

التحليل الحجاجي لنص البيضاوي

لقد قام البيضاوي بالسعي لإثبات قضية وجود الله تعالى من خلال دليل الفطرة التي أودعها الله في كلّ نفس بشرية كي يقيها من الكفر فإستعان بجمل من الحجج.

أ- المقدمات الحجاجية المدرجة لإثبات وجود الله بالفطرة لدى البيضاوي: من بين أشكال المقدمات التي سخّرها البيضاوي لإثبات دليل الفطرة ما يلي:

الوقائع الحجاجية المدرجة للتدليل على وجود الله:

-قد افترض البيضاوي مجموعة من الوقائع نجدها في النماذج التالية:

-الواقعة الأولى: يقول البيضاوي: فنحن نرى البشر يتخذون الطعوم والأمصال للتحصين من الأمراض.

تعدّ هذه الواقعة من المقدمات التي لا يختلف عليها الناس لأن أغلبيتهم يتخذون طعوما وأمصالا وإذا سلّمنا بهذه الواقعة وجب علينا التسليم بأن الله سبحانه وتعالى جعل أيضا مصلا تطعيميا في كلّ نفس بشرية فمثل يتخذ النّاس أمصالا للوقاية فالله سبحانه جعل في كلّ نفس مصلا ليقيها من الكفر إذن انطلق البضاوي من مقدمة عامة بهدف التأسيس لقضية أخرى.

القيم الحجاجية المدرجة لعون المعتقد (المعرفة الفطرية لله).

تتدرج القيم الحجاجية ضمن السياسات الخطابة التي ترسم الحركة الخطاب ومسالكه فقد اعتمد البيضاوي في نموذجه التفسيري الذي قدّمه للتدليل على وجود الله على جملة من القيم

أساسها الاعتقاد الجازمبما يقدّمه لنا القرآن الكريم حول وجود مصل تطعيمي وضعه الله سبحانه وتعالى في الإنسان ليقيه من الكفر وهنا نثل القيم الحجاجية المعتمدة في نصّ البيضاوي:

قيم قرآنية: وهي جملة القيم التي أنزلها الله في محكم تنزيله:

قيم علمية: تتمثّل في جملة من الحقائق العلمية أقرها العلم ولها ما يماثلها في القرآن الكريم.

قيم تعظيمية: وتتحقق عن جملة من الملفوظات التي تعكس عظمة الخالق.

قيم استشهادية: تتمثّل في الأمثال التي تحمل قيما تصديقية والتي أوردها البيضاوي لتعضيد دعواه.

الهرميات الحجاجية المدرجة للتدليل على وجود الله بالفطرة.

خضعت القيم في نصّ البيضاوي لهرمية محدّدة، واتسمت بسلمية معينة ويتجلى ذلك في قوله: (فإذا تدخلت الأهواء وحدثت الغفلة جاءت المناعة) وفي قوله أيضا: (ولن يفسد مجتمع المسلمين أبدا، فإذا فسد جاءت طائفة أخرى تقوّمه) وكأن البيضاوي يردّ على سؤال ضمني مفاده: إذا كان هناك مصل تطعيميا وضعه الله في كلّ نفس بشرية فلماذا هذا الفساد الذي يشهده العالم الإسلامي فهنا يقدم لنا البيضاوي الحجج التي تنكس فطرة الانسان وهي تلك القيم السلبية التي يكستسبها من أهواء تؤتي بالضرورة على الغفلة عن الله وتمثل هذه الحجج الهرمية بالنموذج التالي:

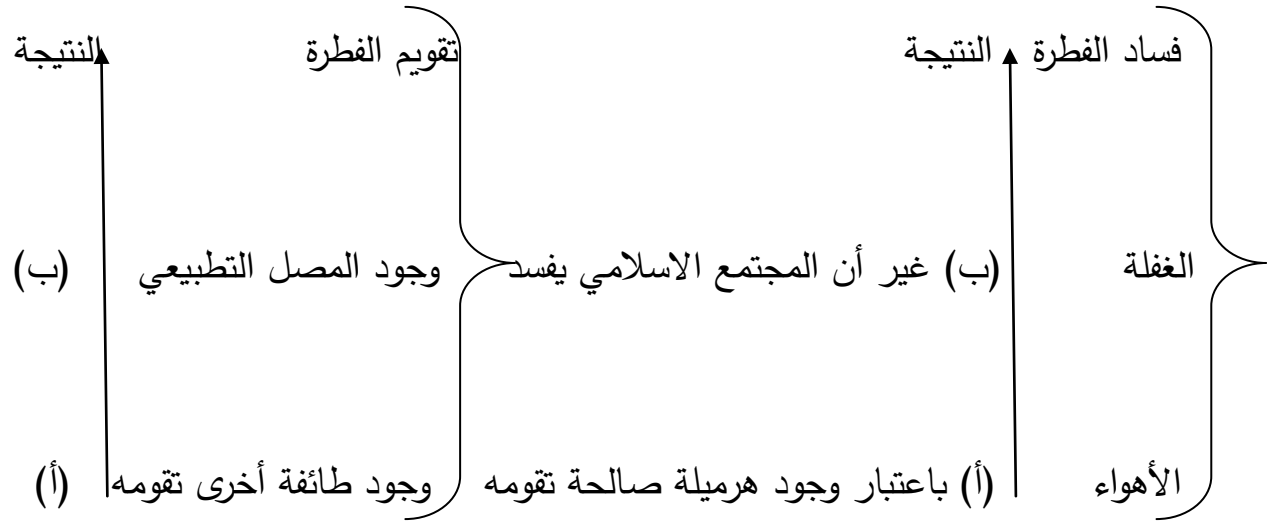

يقدّم لنا البيضاوي في هذا النموذج الحجج التي تنكس فطرة الإنسان وتفسدها وهي الأهواء والغفلة وهذه القيم السلبية التي يكتسبها تؤدّي بالضرورة إلى الغفلة عن الله وفي المقابل يقدّم لنا حججا أخرى تقوم هذه الفطرة وتقيها من الضياع وهي وجود مصل تطعيمي أودعه الله في كلّ نفس بشرية.

المواضع الحجاجية المدرجة للتدليل على وجود الله بالفطرة:

لقد اعتمد البيضاوي في نصه إلى تسخيره مجموعة من المبادئ العامة المتفق عليها بين جمهور المسلمين ومن بين المواضع ما يلي:

-المواضع الخاصة المدرجة للتدليل على وجود الله بالفطرة:

-الدعوى (وجود الله بالفطرة): الموضع الذي يدعم الدعوى: قال تعالى: "ألست بربكم قالوا بلى..." نوع الموضع خاص كيفي: خاص بالمسلمين وكيفي[1] لأنه حقيقة إلهية.

[1]ذهبنا في الفصل الثاني عند حديثنا عن نظرية المواضع على أن الموضع الحجاجي ينقسم إلى خاص ومشترك، فالخاص هو الذي يحدث به التصديق في مقامات محددة فقط وفي نوعية مخصوصة من الناس كتأثر المسلمين بالقرآن الكريم، أما الكيفي فهو مرتبط بمصدر الموضع، فالحقائق الإلهية تكتسي عند الناس أهمية بالغة مقارنة بالحقائق البشرية.

الدعوى (وجود الله بالفطرة): الموضع الذي يدعم الدعوى: قال تعالى: "يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلقة وغير مخلقة": نوع الموضع خاص كيفي: خاص بالمسلمين وكيفي لأنه حقيقة إلهية.

– ذهبنا في الفصل الثاني عند حديثنا عن نظرية المواضيع إلى أن الموضع الحجاجي ينقسم إلى خاص ومشترك، فالخاص هو الذي يحدث به التصديق في مقامات محددة فقط، وفي نوعية مخصوصة من الناس كتأثر المسلمين بالقرآن الكريم، أما الكيفي فهو مرتبط بمصدر الموضوع، فالحقائق الإلهية تكتسي عند الناس أهمية بالغة مقارنة بالحقائق البشرية.

ب– الحجج الشبه المنطقية المدرجة للتدليل على وجود الله بالفطرة:

تتدرج الحجج الشبه المنطقية ضمن التعقبات الحجاجية التي تنتقل بالخطاب إلى مستوى أعمق من الممارسة الحجاجية. ومن بين هذه الحجج نجد:

1–حجة الحد والتماثل المدرجة للتدليل على وجود الله بالفطرة:

يتعمل هذا النوع من الحجج للتمييزبين المفاهيم المطروحة ويتركز فعل الحجاج في هذه التقنية الخطابية على ثنائية إعطاء مفهوم سائد وقد استعان البيضاوي بهذه التقنية الحجاجية أثناء صياغة تعريفا جديدا للمضغة ومنها المخلقة وغير المخلقة هي التي تكون في الأعضاء، وغير المخلقة هي الرصيد المخزّن في الجسم) ويمكن أن نمثل ذلك بـــ:

المضغة ← المفهوم السائد للمضغة: هي ذلك المصل الموجود في أعضاء الانسان.

المضغة ← المفهوم الجديد للمضغة: هي ذلك المصل الموجود في أعضاء الانسان زائد مصل تطعيمي موجود لكي يقي الانسان من الكفر.

نستنتج من هذا النموذج لأن البيضاوي وضع مفهوم جديد للمضغة مفاده أن الله أودع مضغتان في الانسان، الأولى موجودة في الأعضاء والأخرى فهي ذلك المصل الموجودة في النفس البشرية الذي يستطيع من خلاله الانسان معرفة الخالق.

حجة إدماج الجزء في الكل المدرجة للتدليل على وجود الله الفطرة يستمّد هذا النوع من الحجج طاقته الاقناعية من مشابهة للطرائق الرياضية أي ما ينطبق على الجزء ينطبق على الكل. وقد عمد البيضاوي إلى هذا النوع من الحجج أثناء محاولة إقامة نوع من التماثل بين آدم عليه السلام وأبنائه أي كلّما ينطبق على آدم الأصل ينطبق بالضرورة على أبنائه باعتبارهم الفرع، ونمثل ذلك المنحنى الحجاجا التالي:

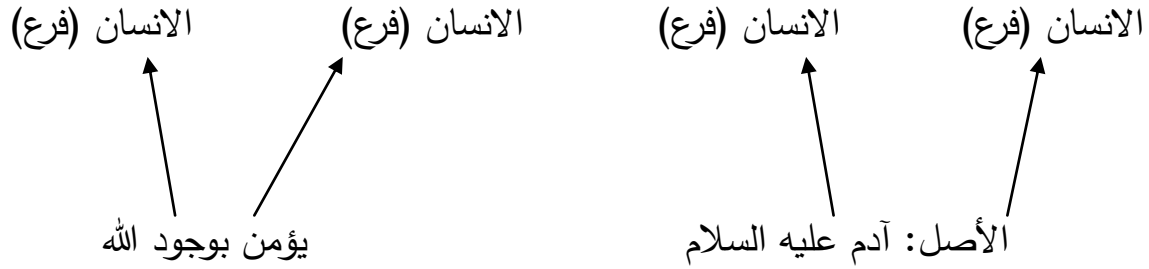

ومعنى هذا المخطط أنه إذ كان آدم هو أول خلق الله وهو الأصل الوجود البشري، وهو ما انفقت عليه البشرية جمعاء، فهذا يقتضي أن تكون الأجزاء التي تفرعت عنه موجودة أيضا.

ج- الحجج المؤسسة على بنية الواقع المدرجة لإثبات وجود الله بالفطرة:

يعمد البيضاوي في هذه النوعية من الحجج للبرط بين الأحكام المسلم بها والأحكام الجديدة التي يسعى لها من خلال بناء واقع جديد يتوافق مع أهدافه التداولية. "فلا يمكن التسليم فيه بحجة دون أخرى، ومن هنا جاء وصفها بكونها حججا اتصالية أو القاامة على الاتصال"[1] ومن بين التقنيات التي اعتمادها البيضاوي يمكن رصدها فيما يلي.

[1] علي شعبان، الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل ص158

-**حجة السلطة:** (اغتصاب الإذعان في قضية وجود الله): تعدّ حجة السلطة من الحجج الفاعلة والحاضرة بكثافة في خطاب البيضاوي التفسيري، وهي حجة مركزية محورية تأتي لدعم ما أدمج في الخطاب من حجج بالتسليم المطلق، فتقوم السلطة بتجميع كل الحجج المقبولة والمرفوضة وطرحها على المتلقي بإعتبارها كل ينتمي إلى بعضه البعض وذلك لضمان حصول الاقناع واليقين ويمكن أننمثل السلطات الحجاجية المدرجة في خطاب البيضاوي بالمخطط التالي:

-**سلطة القرآن باعتبار المرسل (الله):** القضية (وجود الله بالفطرة): السلطة التي تدعم القضية –قال الله تعالى "يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مغة مخلقة وغير مخلقة" وقوله أيضا "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله".

وسلطة العلم: يقول البيضاوي "فالإنسان لا ينشأ إلا من المكروب الذكري الحي الذي يخصب البويضة وحين تسلسل هذه العملية لا بدّ أن تصل بها إلى آدم عليه السلام وهذه الدرة الباقية هي التي شهدت العهد الأول الذي أخذه الله علينا.

سلطة النحاة: يقول البيضاوي وين نقرأ الآية نجد أن كلمة (فطرت..) منصوبة ولم يتقدم عليها ما ينصبها فلماذا نصبت؟ وهنا الأسلوب يريد أن يلفتك إلى سبب النصب وللفعل المحذوف هنا لتبحث عنه بنفسك فكأنما قال فأقم وجهك للدين حنيفا والزم فطرت الله التي فطر الناس عليها.

حجة الوصل السببي المدرجة لتدليل على دعوة المعرفة الفطرية للخالق.

يقوم المحاجج بالربط بين الأحداث والنتائج المترتب عليها[1] وقد اعتمدها البيضاوي أثناء تبريره لمواقفه العقدية وتتجلى مثل هذه الاستراتيجيات الخطابية في قوله (ولن

[1] ينظر، عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسة تطبيقية، ص50.

يفسد مجتمع المسلمين ابدا فإذا فسد جاءت طائفة أخرى تقوّمه وهذا واضح في قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين...) هنا يربط البيضاوي بين نتيجة مفادها عدم فساد الأمة الإسلامية ثمّ يقدم الحجة التي تمنع وقوع الفساد وهي حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

النتيجة ← لن تفسد الأمة الإسلامية.

لأنّ: حديث النبي + بقاء الأمة ظاهرة على الحق هو الذي منع فساد الأمة الإسلامية.

السلم الحجاجي (قراءة تقويمية في حركة الحجج داخل الخطاب) إنّ السلم الحجاجي ضمن العمليات الخطابية التقويمية لحركة الحجج داخل الخطاب فهو تلك العلاقة التراتبية والتفاضلية الموجودة بين الحجج من حيث مساندتها للنتيجة التي يسعى المحاجج إلى تحصيل اليقين والتصديق من صحتها[1]. وقد اعتمده البيضاوي في تفسيراته وهذا ما سنحاول أن نبينه من خلال السلم الحجاجي التالي:

النتيجة: وجود مصل تطعيمي وضعه الله في كلّ نفس بشرية يقود الانسان نحو معرفة الله

الحجة (6) قال تعالى: "فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها"[2]

الحجة (5) قال تعالى: "يا أيها النّاس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلقة وغير مخلقة"

الحجة (4) قال تعالى: "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله"

[1] ينظر، رشيد أراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية والبنيوية ص105

[2] الامام البخاري: صحيح، باب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم 1380 ج3 ص245

الحجة (3) يقول البيضاوي: "قد اثبت العلم أن لا ينشأ إلا من المكروب الذكري الذي يخصب البويضة، وحين تسلسل هذه العملية لابدّ أن تصل بها إلى آدم عليه السلام.

الحجة (2) يقول البيضاوي: فمنذ هذا العهد لم يجرؤ أحد من الخلق أن يدّعي الخلق لنفسه".

الحجة (1) يقول البيضاوي "البشر يتخذون الطعوم والأمصال للتحصين من الأمراض، كذلك الحق سبحانه وله المثل الأعلى –جعل هذا المصل التطعيمي في كلّ نفس بشرية.

من خلال قراءة أولية وصفية لهذا السلم الحجاجي، يتضح وجود تفاوت بين الحجج المدرجة للتدليل على قضية "المعرفة الفطرية لله تعالى" وبالرغم من وجود تباين بينهما من حيث القوة والضعف، إلاّ أنّها حجج متساندة فيما بينها تقود نحو نتيجة واحدة وهي وجود مصل تطعيمي وصفة الله في كلّ نفس بشرية لمعرفته.

وممّا سبق نستنتج أنّ الإمام البيضاوي بدليل الفطرة على وجود الله أي أنّ النفس البشرية مجبولة على فطرة تقودها إلى معرفة الله، قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم (كلّ مولود يولد على الفطرة، فابواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمسّحانه...)[1] فقضية الفطرة محسومة من القرآن والسنة ولا جدل فيها فكان البيضاوي معتمدا على خطابات قرآنية ونبوية.

[1] الإمام البخاري: الصحيح، باب الجنائز، باب ماقيل في أولاد المشركين، حديث رقم 1830، ج3، ص245.

المطلب الثاني: حجاجية القول في وحدانية الله

لقد اختلف علماء العقيدة في مذاهبهم الفكرية إلى أن الإقرار بوحدانية الله من الأصول الجوهرية التي تقوم عليها كل العقائد التوحيدية. فقد دعا الله سبحانه وتعالى في كتابه إلى عقيدة التوحيد المتمثّلة في ضرورة الايمان وقد كان للبيضاوي تفسيرات اعتنت باستخراج مختلف الآيات القرآنية التي تدلّ على وحدانية الله تعالى.

وقد فسّر قوله تعالى "قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذ لابتغوا إلى ذي العرض سبيلا 42 سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا"[1] .

يعلق البيضاوي على الآية قائلا:

أي: لو كان مع الله آلهة أخرى لطلبت هذه الآلهة طريق إلى العرض وقد عالج الحق هذه القضيّة في قوله تعالى: "شهد الله أنّه لا إله إلا هو..." وهذه القضية تكون إمّا صادقة أو غير ذلك فإذا كانت صادقة فقد انتهت المسألة وإذا كانت غير كذلك فإن كان هناك إله آخر فلماذا لم نسمع به أو يبرز وجوده إذن في الأخير لا وجود لإله آخر غير الله.

ومادام الله قد شهد لنفسه بالوحدانية، ولم يقم له معارض فقد سلمت له هذه الدعوى.

وقد دعا البيضاوي بالإيمان بوحدانية المطلقة لله وقد دافع عن هذه الأركان بمجموعة من الحجج وسنراها في النموذج التفسيري للبيضاوي.

المواضع الحجاجية المدرجة للتدليل على وحدانية الله لقد دعم البيضاوي خطاباته بموضع قرآني واحد في سبيل الدعوة بوحدانية الله تعالى ويمكن تمثيل ذلك في:

[1] الاسراء آية 43/42

-الدعوى (وحدانية الله): الموضع الذي يدعم الدعوى: قال تعالى: شهد الله أنّه، لا إله إلا هو: نوع الموضوع (خاص): خاص لأنّ المتلقي المقصود في هذا المقام الإنسان المسلم: طيفي لأنّ الحقيقة التي يضمنها الله أفضل من التي يضمنها البضر وقد اتضح أن البيضاوي ساق هذا الموضع ليحسم قضية الله فشهادة الله لنفسه بالوحدانية من أكبر الأدلّة على وحدانية وهذه الشهادة لم تأت إلا بعد أن أقام الحجج المتمثلة في إيجاد المخلوقات ونصب الأدلة العقلية وشهادة الملائكة والرسل وشهادة أولي العلم.[1]

وبهذه الشهادات تتحقق قضية الوحدانية التي سعى البيضاوي جاهدا لاثباتها.

الحجج العقلية المدرجة للتدليل على وحدانية الله:

إنّ الحجج العقلية تستمدّ قوّتها الاقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية الصّورية[2] وهي تعتمد في الغالب الأهم على البنى الرياضية وقد اعتمدها البيضاوي كثيرا في نموذجه التفسيري للتدليل على قضية وحدانية الله.

حجة التعدية (رسم الحدود بين الخالق والمخلوق):

إنّ التعدّدية خاصية شكلية تتصف بضرب من العلاقات تسمح لنا بإثبات أنّ العلاقة الموجودة بين (أ) و(ب) من ناحية و (ب) و(ج) من ناحية أخرى، هي علاقة واحدة موجودة بالضرورة بين (أ) و(ج)[3] وقد صرف البيضاوي هذا النوع من الحجج أثناء محاولته للتدليل على قضية وحدانية الله فقام بمجموعة من التناظرات تميز الخالق عن المخلوق وكان ذلك واضحا في قوله: (لو بنى كلّ من العمدة

[1] ينظر الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3 ص

[2] ينظر عبد الله صولة الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته مقال كتاب، أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية ص 325

[3] ينظر عبد الله صولة الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته مقال كتاب، أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية ص329

ومـأمور المركـز والمحـافظ بيتا،فسـوف يتعـاون هـذا البنـاء مـن واحـد لآخـر، بحسـب قدرتـه ومكانتـه وكـذلك لا بـدّ مـن وجـود هـذا التفـاوت بـين إلـه ومـألوه، وبـين ربّ ومربوب وبين عابد ومعبود) يمكن تمثيل هذه العلاقات كالتالي:

-القضـية أ: بنـاء العمـدة يختلـف عـن بنـاء المـأمور، لأن مكانـة العمـدة أفضـل مـن مكانة المأمور.

القضـية ب: بنـاء المـأمور يختلـف عـن بنـاء المحـافظ، لأن مكانـة المـأمور أرقـى مـن مكانة المحافظ.

النتيجـة المسـتنتجة بالتعديـة: وجـود تفـاوت بـين الإلـه والمـألوه لأنّ الإلـه هـو الخـالق والمدبر لكل شيء.

ومـن خـلال هـذا النمـوذج نسـتنتج أن البيضـاوي يصـرف حجـة التعديـة لخلـق تـدرج ينتقل بموجبه من البديهات إلى ما يريد التأسيس له.

حجاجية قياس التعارض المدرج للتدليل على وجدانية الله:

يعـد قيـاس التعـارض مـن أهـم الأبيـات الحجاجيـة التـي اعتمـدها البيضـاوي فـي إثبـات عقيـدة الوحدانيـة، وقـد اعتمـد علـى هـذا النـوع لابـراز التنـاقض والتعـارض الموجـود فـي عقائـد الخصـوم ونجـده يسـتدلّ بالتعـارض لإقصـاء ا يعتقـده الخصـم وإثبـات مـا يـؤمن بـه هـو ويتضـح هـذا المنحنـى الحجـاجي فـي قولـه: (فغـن كانـت قضـية الوحدانيـة غيـر صـادقة وهنـاك إلـه ثـان، فـاين هـو؟ لمـاذا لـم نسـمع بـه؟ فـإن كـان موجـودا... وتقـاعس عـن هـذه المواجهـة ولـم يعـارض فهـو لا يسـتحق أن يكـون إلهـا... ويمكـن تمثيـل ذلـك فـي المقدمـة الكبيـر (دعـوى الخصـوم): يعترضـون وجـود الـه آخـر المقدمـة الصـغرى... ولكن أين هو هذا الإله، ولماذا لم نسمع عنه؟

النتيجة: لا يوجد إله ثان لأنّه، لم يعلن عن نفسه ولم يعارض الإله الواحد.

السلمية الحجاجية: إنّ المتأمل في النموذج التفسيري الذي قدّمه البيضاوي يلاحظ حركة حجاجية تتّسم بالتصاعدي والتدرج في خضام الحجج من الأضعف إلى الأقوى.

النتيجة: يوجد غله واحد

الحجة 4: (شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو)

الحجة 3: لو كان يوجد آلهة أخرى لماذا لم نسمع بها

الحجة 2: لو كان يوجد آلهة أخرى فاين هي

الحجة 1: لو كان يوجد آلهة أخرى لطلبت إلى العرش سبيلا

لقد اهتم البيضاوي في تفسيره على شبكة التمثلات والصور منها ممّا جاء في خطبة الكتاب لنستخرج نماذج من تلك التمثلات والصور التي هي نتائج وحجج في متن الخطاب التفسيري فعلم الامام البيضاوي:

أ- لا يليق لتعاطيه والتصدّي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها.

ب- إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام، حتى تسنح لي بعد الاستخارة ماصمّم به غرمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه بعد أن أتممته "بأنوار التنزيل وأسرار التأويل" يقودنا تأمل المثالين (أ-ب) إلى إدراك جوانب ن التخطيط الحجاجي في الخطاب التفسيري، فتغير أن النتيجة الكبيرة (ن) لهذا الخطاب أو المدوّنة التفسيرية هي إقناع جمهور المتلقين بامتلاك المفسر لناصية "الأهلية والكفاءة" لولوج عالم تفسير النّص الديني وتأويله وذلك استنادا لحجة (2) البراعة...

المبحث الثالث: نماذج

المطلب الأول: علم البيان.

كان لعلم البيان ذاته مكانة في تفسيرات البيضاوي فذكر عدّة أبواب من هذا العلم. نجد ما يلي:

1) التشبيه: من ذلك قوله تعالى "وعندهم قاصرات الطرف عين 48 كأنهن بيض مكنون 49" الصافات 48-49 قال البيضاوي رحمه الله (كأنهن بيض مكنون) شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفره فإنه أحسن ألوان الأبدان فالحور الغنى مخلوقات محسوسة ترى بالعين المجرّدة والبيض المكنون الذي هو بيض النعام أيضا يدرك بالحسّ، لذلك يكون نوع هذا التشبيه من نوع المحسوس بالمحسوس.

مثال 2: قوله تعالى: "وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون" البقرة 25. قال البيضاوي فالمعنى هذا مثل رزقنا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته كقولك : أبو يوسف أبو حنيفة.

2) الاستعارة، الاستعارة المكنية:

من الاستعارات قوله تعالى: "قال ربّ إنّي وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعاءك ربي شقّيا" مريم 4، قال البيضاوي رحمه الله: (واشتعل الرأس شيبا) شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره في الشعر باشتعاله، ثمّ أخرجه مخرج الاستعارة وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة ، وجعله مميزا لإيضاحه للمقصود[1].

[1] تفسير البيضاوي: 2/ 360

ونرجع الآن إلى متن الخطاب لنرصد التمثلات الأخرى التي يقدمها المفسر شأن الموضوع "و"الآخرين المشاركين في الوضعية التخاطبية .وتشكل الأمثلة التالية ت–ث –ج (مجموعة من الأقوال التي أعدنا صياغتها انطلاقاً من متن خطبة الكتاب :

ت –القرآن الكريم هو الفرقان الذي يز الحق عن الباطل.

ت القرآن الكريم نزله الله على عبده ليكون للعالمين نذيراً .ج –القرآن الكريم هو كتاب تحد للخطباء والفصحاء والبلغاء .يعتقد المفسر أن القرآن الكريم كتاب الله تعالى الذي أنزله على الرسول عليه السلام لإنذار الناس أجمعين، وبيان الحق والهدى، ومحاربة الباطل والضلال .وتعد هذه الدلالات بمثابة تمثل خاص بالموضوع، ولهذا يرقى الجهد اللغوي والبلاغي للمفسر إلى درجة عليا ضمن الإنتاج العلمي والخطابي" :أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها" 35.

أما الممثلات الخاصة بالآخر، فيمكن استخلاصي بعضها من القولين التاليين:

"من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فهو في الدارين حميد وسعيد".

ح لمن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ تيراسه يعش دميما ويصل سعيراً .يميز المفسر بين صنفين من المتلقين المحطاب القرآن؛ صنف يستمع إلى الرسالة الإلهية ويصدق ها، وصنف يكذب ويتكبر ويعرض وتكمن الوظيفة الحجاجية للخطاب التفسيري في تقوية الخراط جمهور المتلقين في الأطروحة الرئيسة غير تشغيل سلسلة من الحجج والتقنيات الاستدلالية والبلاغية.

وهنا يمكن أن نتساءل عن المسارات أو الخطط الحجاجية المحتملة التي يضعها المفسر بين يديه لبناء القوة الإقناعية الملائمة لكل صنف من المتلقين المحتملين للقرآن الكريم .فنقول إن دراسة الخطاب التفسيري وتحليل مقاطعه الخطابية وفقاً

للمنظور الحجاجي البلاغي، كفيلان باستخراج كثير من تلك الخطاطات التي يستدعي بناؤها تحقيق أقصى درجات التلاؤم مع المعطيات النفسية والاجتماعية والثقافية المرتبطة بالمتكلم والمخاطب

جمهور المتلقين بامتلاك المفسر لناصية "الأهلية والكفاءة" الولوج عالم تفسير النفس الديني وتأويله، وذلك استان إلى حجة (ج) "البراعة في العلوم الدينية كلها، أصولها وفروعهاء والتفوق في الساعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها " فالمفسر يريد أن يقور برهان البراعة والتفوق، ويضع نفسه ضمن قائمة مفسري النص القرآني. ومع أن البيضاوي يشير في موضع آخر من خطبة الكتاب إلى "قصور هات" العلمية، فإنه يعود لترجيح مضيه في إعداد التفسير بعد الاستخارة. ولهذا، ترى أنا عدد أخلاقينين، أولاهما إظهار "الاعتذار والتواضع"، وثانيتهما "التضرع والاستعارة . وهما معاً يمكن أن يكونا حجين تدعمان نفس النتيجة السابقة، وهي "الأهلية والكفاية". ثم إن الدلالة الحجاجية لأسلوب القصر في القول (أ) تظل هي الأقوى في السلم الحجاجي المؤدي إلى الشبحة الكبرى للخطاب (د): تعاد هذا القول في خطة الكتاب ممثلاً بقدمه المفسر حول ذاته، ويتحول وقف الطبيعة الحجاحية المخطاب إلى حجة قوية داعمة لنتيجة كبرى يهدف إلى ترسيخها في أفعال المتلقين أو على الأقل رفع درجة التصديق لديهم بصحتها. تضع الحجج على سلم ترتي يظهر قوة بعضها بإزاء بعض، فبعد الحجة (ج) في الأقوى لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وقال في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها.

والأعلى في هذا السلم الحجاجي الذي يتجه نحو خدمة النتيجة المطلوبة في الخطاب التفسيري، وهي إقناع القراء والسلقين بأهلية المفسر وكفاءته العلمية

والخلقيــة. ن "الأهليــة والكفــاءة" لا بليــق إلا مــن .. ح "التضــرع والاســتعارة" "قصــور بضاعته العلمية"

يعضـد هـذا مـا ذهـب إليـه بيرلمـان فـي الفصـل الثـاني مـن كتابـه "إمبراطوريـة البلاغـة" ، إذ ألـج علـى ضـرورة أحـد المتلقـي وظروفـه النفسـية والاجتماعيـة بعـين الاعتبـار مـن أجـل تحقيـق حجـاج فعـال، علمـاً أن الخطـاب الموجـه إلـى مثلـق خـاص Auditoire particulier يهـدف إلـى الإقنـاع، بينمـا يهـدف الخطـاب الموجـه إلـى المتلقـي الكـوبي (العـام) universel Auditoire إلـى الاقنـاع والفـرق بـين مـن الإقنـاع الـذي يخاطـب الخيـال والعاطفـة، والاقتنـاع الـذي تخاطـب العقـل " 36 كمـا يمكـن فـي هـذا السـياق أن تستحضـر بـاقي المسـلمات الأساسـية التـي صـاعها ج ب عزيـزة مثـل مسـلمة وضـعية التكـالم d'interlocution situation التـي تمثـل بعـداً ملموسـاً (رمـان، مكـان، غاليـة الخطـــاب) وبعـــداً نظريـــاً (إطـــار سوســـيو تـــاريخي معـــين)، ومســـلمة الحواريـــة dialogisme التـي تفيـد أن طرفـي التفاعـل (أ) و(ب) همـا فـاعلان علـى حـد سـواء في بناء المعنى.

الكنايــة: فقـد عرفهـا البيضـاوي علـى أنهـا هـي الدلالـة علـى الشـيء بـذكر لوازمـه وروادفه، كقولك الطويل النجاة للطويل وكثير الرماة للمضياغ

قولـه تعـالى: " المنـافقون والمنافقـات بعضـهم مـن بعـض يـأمرون بـالمنكر وينهـون عـن المعـروف ويقبضـون أيـديهم" التوبـة 97 قـال البيضـاوي:) وسقبضـون أيـديهم(عـن المبار وقبض اليد كناية عن الشح

"وقالـت اليهـود يـد الله مغلولـة غلـت أيـديهم ولعنـوا بمـا قـالوا بـل بـداه مبسـوطتان ينفـق كيـف يشـاء" المائـدة 64. فكمـا أن قـبض اليـد جـاءت كنايـة عـن البخـل والشـح فـإن بشطها هو كناية عن الكرم والجود.

المطلب الثاني: علم البديع في تفسير البيضاوي

الطباق:

مثل قوله تعالى:"قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أولياكم لعلى هدى لو في ظلال مبين24" سبأ 24 قال البيضاوي رحمه الله في معنى الهدى: والهدى في الأصل مصدر كمصدر سرى والتقى معناه الدلالة وقسل: الدلالة الموصلة الى البغية لأنه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى: "إنا وإياكم لعلى هدى أو في ظلال مبين".

فالبيضاوي بشر بقوله: لأنه جعل مقابل الظلابة إلى وجود طباق بسن الهدى والظلال والهدى والضلال اسمان كما هو واضح ويسميه البيضاوي مقابلة.

*** المقابلة:**

ومن المقابلة قوله تعالى: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الأعراف (58).

قال البيضاوي رحمه الله (والبلد الطيب) الأرض الكريمة التربة.

(يخرج نباته بإذن ربه) بمشيئته وتيسيره، عبر به عن كثرة النبات وحسنه، والذي خبث أي كالحرة والسبخة (لا يخرج إلا نكدا) قليلا عديم النفع.

فالمقابلة قائمة بين (البلد الطيب، والذي خبث) من جهة، وبين (يخرج نباته بإذن ربه (ولا يخرج نكدا) من جهة أخرى.

المحسنات اللفظية:

السجع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ الحج (22-23).

قال البيضاوي: (ولباسهم فيها حرير) غير أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة.

معنى قول البيضاوي (غير أسلوب الكلام فيه) هو الإشارة إلى أن الجمل كلها من بداية الآية جاءت على طريقة الجمل الفعلية (يدخل، يحلون) لأن عند ختامها قال: (لباسهم) ولم يقل يلبسون، فحولها من جملة فعلية إلى إسمية.

خاتمة

إلى هنا يكون هذا البحث استوفي بعون الله وفضله.

فضوله ومباحثه، ةوبعد أن رصدت دراسة نظرية للحجاج هذه خلاصة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال ثلاث فصول.

1- مصطلح الحجاج مفهومه عائم، يتحرك عبر دلالات متنوعة في كثير من الحقول المعرفية، ارتبط عبر مساره التاريخي بمصطلحات طالما اعتبرت مرادفات له كالجدل والحوار والبرهان، وكل هذه المصطلحات تخدم غاية واحدة، هي محاولة التأثير ووصول المتكلم هدفه التبليغي.

2- في الخطاب القرآني يعد الحجاج دائما عنصرا مهما في عملية الاقناع.

3- يرتبط الاقناع بالحجاج ارتباط النص بوظيفته الجوهرية الملازمة له في محيط أنواع نصية أخرى.

- الحجاج والاقناع جزءان من عملية واحدة، ولا اختلاف بينهما إلا في درجة التوليد.

4- ارتبط الحجاج في التراث العربي بالجدل وظهر مرادفا له، وتجلت مبادئ الحجاج في الدرس البلاغي العربي، إذ اهتمت البلاغة العربية باستراتيجية التأثير والاقناع.

5- رصد البحث أهم الاتجاهات التي ساهمت في وضع نظرية حديثة للحجاج عند العرب أولها البلاغة أو الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا، إذ حاولا إضفاء بعد عقلي على الحجاج، فهو عندهما حوار سعي إلى إحداث اتفاق بين الأطراف المتحاورون.

6- تعلق الحجاج عند ميير بنظرية المساءلة، فاشتغل الحجاج باعتباره ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف يحمل المتلقي على اتخاذه.

- الحجاج عند تولمين هو حجاج منطقي، يحاكي في بنائه الممارسة القانونية كممارسة عقلانية ثابتة.

7- تتمثل ملامح النص الحجاجي في الدعوىّ أو نتيجة الحجاج أو التبرير، الدعامة، مؤشر الحال.

8- تتعدد أشكال الحجاج حسب طبيعة الحوار الحجاجي، وبناء الحجاج، كما تعددت وجوهات النظر الباحثين وآراؤهم في تحديد أنواع الحجاج.

أما في الفصل التطبيقي:

-الإمام البيضاوي عالم موسوعي جمع علوم كثيرة كالفقه وأصول التغيير والتاريخ واللغة، ظهر من خلال دراسة الاهتمام بالبيضاوي رحمه الله بعلم المعاني والبيان.

لقد صرف الإمام البيضاوي أثناء معادلته إثبات وجود الله جملة من الإمكانيات الحجاجية والطاقات الاقناعية.

يؤس البيضاوي لقضية وجود الله عن طريق تقنية الهدم الحجاجية، إذ وجدناه يهتم بكل العقائد المناوئة والمخالفة لاسيما عقائد الملحدين.

اكتفاء البيضاوي أثناء محاولته إثبات وحدانية الله بالأدلة العقلية، فوجدناه يسخر بالجملة من الحجج العقلية التي تبطل الزعم القائل يتعدد الآلهة، ثم يؤس لقضية وحدانية الله.

اعتماد البيضاوي أثناء تأويله لصفات الألوهية على جملة من الحجج التي تقصد تأويلاته وقد انقسمت بين حجج لغوية وحجج جاهزة.

انتظام الحجة في تفسير البيضاوي عامة وفي شقه العقدي خاصة.

وظيفة الدحض: دحض ما يعتبره الحجاج مزاعم أتى بها خصمه، فيعمل على دحضها وكشف ضعف منطلقها التداولي.

والحجاج فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري المقامي والاجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من المعارف المشتركة والمطالب الإخبارية، وتوجيهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في انشاء معرفة علمية انشاءا موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه اقناعي قائم بلوغه على الالتزام صوب استدلالية أوسع وأغنى من البيانات البرهانية الصيغية هذه.

هذه الاستثنائية التي تميز الحجاج جعلته أكثر حضورا في العملية التواصلية، مما ساعدت المرسل على إيصال أفكاره إلى المتلقي، وتجعله يذعن إلى ما طرح عليه من الرسائل.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

1. إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، معجم اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون الطبع الأميرية، القاهرة، 1403هـ/1983م.
2. ابن منظور لسان العرب مادة (ح.ج.خ).
3. ابن منظور، لسان العرب تحقيق: علي الكبير وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة المجلد الثاني، الجزء التاسع .
4. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح،د،ل).
5. ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ج2، 1399هـ/1979م.
6. ابو القاسم جار الله الزمخشري الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، تحقيق الشريف علي بن محمد السيد، دار الفكر الطباعه والنشر بيروت ج1، ط2006.
7. أبو الهلال العسكري، كتاب الضاعتين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1989.
8. أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2000م.
9. ابو بكر الغراوي حوار حول الحجاج .
10. أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيان، تحقيق عبد السلام،هارون، القاهرة ج1،دت.
11. أرسطو، الخطابة، تعريب، عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام، بغداد 1986، الفصل 2، 1356، نقلا عن عبد الله صولة الحجاج، في القرآن الكريم.

12. الامام البخاري: صحيح، باب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم 1380 ج3 .
13. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت المجلد الأول.
14. بدر الدين الزركشي 2.75.178، المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، البرهان في علوم القرآن، دار احياء الكتاب العربية، الطبعة الأولى 1376هـ-1957م.
15. جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال.
16. جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2000.
17. حافظ اسماعيل علوي، الحجاج، مفهومه ومجالاته
18. حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، افريقيا الشرق الدار البيضاء الطبعة الثانية 2013.
19. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره الى القرن السادس الهجري، منشورات الجامعة التونسية.
20. رشيد أراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية والبنيوية.
21. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي.
22. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3.
23. طه عبد ارحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي المركز الثقافي العربي، ط1، 1998.
24. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نتغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا، الشرق المغرب2007م.
25. عبد الله صولة الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته مقال كتاب، أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية.

26. عبد الله صولة الحجاج في القران الكريم.

27. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائص الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007.

28. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسة تطبيقية.

29. عبد المجيد تركيظن مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، تحقيق وتعليق د. عبد الصبور شاهين، مراجعة محمد عبد الحليم محمود، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط1، 1986.

30. عزالدين ناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، ط1، تونس، 2011.

31. علي بن محمد شريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الايمان، الاسكندريه – مصر،د.ط.

32. علي شعبان، الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل.

33. علي شعبان، الحقيقة والحجاج وأفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، طرابلس، 2010.

34. عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي، في ضوء النظرية التداولية، الجزائر، الطبعة1، 2003.

35. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحليل والتنوير، الدار التونسية....،تونس 1396/ج3.

36. محمد العميري، في البلاغة، الخطاب الاقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء ط1986،1.

37. محمد سالم محمد الأمين الطلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، 2008.

38. محمد طروس النظرية الحجاجية، من خلال دراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعه النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1. 2005.

39. محمد علي التهانوي كشاف الاصطلاحات والمتون والعلوم، تحقيق، رفيق العجم وعليتحروجت.ط. ج1.

40. مدني كاضم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق كل السور المكية، منشورات .....،ط1، لبنان، 2015م.

41. يوسف الحزيمري، الإمام ناصر الدين البيضاوي (000 – 685 هـ = 000 – 1286 م)، مركز أبي حسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، 1444هـ- 2022م موقع/https://www.arrabita.ma/achaari

42. الاستنباط عند القاضي البيضاوي ن خلال تفسيره أنوار التنزيل من أسرار التأويل، يوسف السلمي، رسالة الدكتوراة.

43. تفسير البيضاوي

44. خلية البحث التربوي، الحجاج في درس الفلسفة افريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2006.

45. نقلا عن الحجاج، مفهومه ومجالاته، ج1، les échelles argumentatives, p : 58.

يمينة ثابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، مجلة الخطاب، دار الأمل الجزائر، ع2، 2006م.

fraité de lacigumentation, la nouvelle rhétouque.
Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique.
Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique.

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
الإهداء	
ملخص	
مقدمة	أ
مدخل: العملية التواصلية والحجاج	5
الفصل الأول: الحجاج مفهومه ومجالاته	
المبحث الأول: (ماهية الحجاج)	09
المطلب الأول: الدلالة المعجمية اللغوية للفظ الحجاج.	09
المطلب الثاني: علاقة الحجاج بمجاله المفهومي.	13
المبحث الثاني: الحجاج عند القدماء.	20
المطلب الأول:الحجاج في الفكر اليوناني القديم.	20
المطلب الثاني: الحجاج في الدراسات العربية القديمة	21
المبحث الثالث: الحجاج عند المحدثين.	27
المطلب الأول: عند الغرب.	27
المطلب الثاني: الحجاج عند العرب حديثا	31
الفصل الثاني: الحجاج في الدرس الألسني	
المبحث الأول: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية.	35
المطلب الأول: الروابط الحجاجية	35
المطلب الثاني: العوامل الحجاجية	35
المبحث الثاني: العلاقات الحجاجية	37
المطلب الأول: الخطاب الحجاجي بين المرسل والمرسل إليه.	37
المبحث الثالث: السلام الحجاجي.	38
المطلب الأول: نظرية السلالم الحجاجية.	38
المطلب الثاني: قوانين السلم الحجاجي.	39

التقنيات الحجاجية	40
الفصل الثالث: الحجاج في تفسير البيضاوي	
تمهيد عن حياة البيضاوي	45
المبحث الأول: تقديم تفسير البيضاوي	52
المطلب الأول: سبب تأليف البيضاوي لتفسيره.	53
المطلب الثاني: مصادر تفسير البيضاوي.	54
المطلب الثالث: منهج البيضاوي في التفسير	57
المبحث الثاني: الأبعاد الحجاجية في تفسير الآيات للبيضاوي	63
المطلب الأول: حجاجية القول في وجود الله عند البيضاوي.	63
المطلب الثاني: حجاجية القول في وحدانية الله	73
المبحث الثالث: نماذج	77
المطلب الأول: علم البيان.	77
المطلب الثاني: علم البديع في تفسير البيضاوي	81
خاتمة	84
قائمة المصادر والمراجع	88
فهرس المحتويات	93